# سيرة المسيح

## الكتاب الثالث: سلطانه وتعليمه

الدكتور جورج فورد

Call of Hope · Stuttgart · Germany

سيرة المسيح الكتاب الثالث:

سلطانه وتعليمه

بقلم الدكتور جورج فورد
الطبعة الأولى ١٩٨٦
جميع الحقوق محفوظة

**All rights reserved**

Order Number SPB 7353 A

German Title: Seine Vollmacht und Botschaft (Heft 3)

English Title: His Authority and Teachings (booklet 3)

**Call of Hope · P.O.Box 10 08 27 · 70007 Stuttgart · Germany**

# في هذا الكتاب

**هذا الكتاب ..... ٥**
**١ – شفاء أبرص ..... ٦**
**٢ – معجزتان في كفر ناحوم ..... ١٠**
معجزة صيد السمك ..... ١٠
معجزة شفاء مشلول ..... ١٢
**٣ – المسيح يدعو متّى ..... ١٧**
**٤ – شفاء مريض بركة بيت حسدا ..... ٢٣**
**٥ – تعليم المسيح عن الصوم ..... ٣١**
**٦ – تعليم المسيح عن السبت ..... ٣٦**
**٧ – المسيح يختار تلاميذه ..... ٤٢**
**٨ – الموعظة على الجبل (متّى ٥: ١–٧: ٢٨) ..... ٤٧**
بداية الموعظة: طوبى ..... ٤٩
طوبى للمساكين ..... ٥٠
طوبى للحزانى ..... ٥٠
طوبى للودعاء ..... ٥٠
طوبى للجياع والعطاش ..... ٥١
طوبى للرحماء ..... ٥١
طوبى للأنقياء القلب ..... ٥٢
طوبى لصانعي السلام ..... ٥٣
طوبى للمطرودين ..... ٥٣
تعليق على التطويبات ..... ٥٤
أنتم ملح.. أنتم نور ..... ٥٥
يكمل القديم، لا ينقضه ..... ٥٦
شريعة الصلح ..... ٥٦
شريعة الطهارة ..... ٥٧

شريعة الطلاق ..... ٥٨
شريعة الحق ..... ٥٨
شريعة الحقوق ..... ٥٩
شريعة الحب ..... ٦٠
الصَّدقة والصوم ..... ٦٠
الصلاة ..... ٦١
المؤمن وحب المال ..... ٦٣
لا تدينوا ..... ٦٤
أسألوا تعطوا ..... ٦٥
باب ضيق وباب واسع ..... ٦٦
العاقل والجاهل ..... ٦٧

**٩ – شفاء خادم قائد المئة ..... ٧٠**

**١٠ – المسيح يقيم شاباً من الموت ..... ٧٤**

**مسابقة الكتاب ..... ٧٩**

# هذا الكتاب

يسر أسرة «نداء الرجاء» أن تصدر هذا الكتاب عن حياة السيد المسيح، في سبعة أجزاء.

وقد كتب هذا الكتاب في مجلد واحد باللغة العربية الدكتور جورج فورد في أوائل العشرينات من هذا القرن، بعنوان «كتاب القول الصريح في سيرة يسوع المسيح».

وقد قام محررو نداء الرجاء بإعادة كتابته في الصورة التي تراها الآن.

ونحن نأمل أن يتعرَّف القارئ الكريم على المسيح بطريقة شخصية، وأن يكون شعاره «نحن نحبه لأنه هو أحبّنا أولاً».

**أسرة «نداء الرجاء»**

# ١ – شفاء أبرص

• **«فَأَتَى إِلَيْهِ أَبْرَصُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ جَاثِياً وَقَائِلاً لَهُ: «إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي!» فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ: «أُرِيدُ، فَٱطْهُرْ». فَلِلْوَقْتِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ ذَهَبَ عَنْهُ ٱلْبَرَصُ وَطَهَرَ. فَٱنْتَهَرَهُ وَأَرْسَلَهُ لِلْوَقْتِ، وَقَالَ لَهُ: «ٱنْظُرْ، لا تَقُلْ لأَحَدٍ شَيْئاً، بَلِ ٱذْهَبْ أَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ وَقَدِّمْ عَنْ تَطْهِيرِكَ مَا أَمَرَ بِهِ مُوسَى، شَهَادَةً لَهُمْ». وَأَمَّا هُوَ فَخَرَجَ وَٱبْتَدَأَ يُنَادِي كَثِيراً وَيُذِيعُ ٱلْخَبَرَ، حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَدِينَةً ظَاهِراً، بَلْ كَانَ خَارِجاً فِي مَوَاضِعَ خَالِيَةٍ، وَكَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ»** (مرقس ١: ٤٠–٤٥).

بين كل أنواع المرض التي شفَى المسيح منها، كان عدد الذين شفاهم من البرص – أي الجذام – أكبر من أي عدد آخر. وقد اعتُبر هذا المرض منذ القديم رمزاً للخطيئة ونجاستها، حتى سُمِّي الشفاء منه «تطهيراً». كما اعتبروه إعلان غضب الله على الخطاة. وبين كل ما ذُكر في كتب اليهود الطبية من أدوية ومعالجات للأمراض كافة، لا يُذكر علاجٌ لمرض البرص، لأنهم تأكدوا أنه عديم الشفاء إلا بمعجزة إلهية. وظهر اعتقادهم هذا جلياً في جواب الملك يهورام زمن النبي أليشع في قصة نعمان السرياني (٢ملوك ٥: ٧). لذلك كان هذا المرض هو الوحيد الذي يفرضون على المُصاب به أن يعتزل عن جميع الناس، حتى عن أهل بيته، وإنْ دخل بلداً يُجازَى بأربعين جلدة. وكانوا يعتبرون الأبرص كأنه ميت، يتنجس من يلمسه. وكان الأبرص مجبوراً أن يمارس فروض الحداد من تمزيق ثيابه، والكشف عن رأسه، وتغطية فمه، وترك الاغتسال، وما أشبه، وأن يُحذِّر كل إنسان من الاقتراب منه بصراخه الدائم: «نجس! نجس!». والبرص هو المرض الوحيد الوراثي، الذي ينتقل من الوالدين إلى الأولاد. فإذا أُصيب إنسان بالبرص أو بما يُشتبه أنه برص، ثم تحققت سلامته منه فيما بعد، كان يتوجب عليه الحصول

على شهادة كهنوتية بهذه السلامة.

كان المسيح يوماً يزور إحدى المدن عندما أتاه رجل مصاب بهذا المرض، بالرغم من الموانع الشرعية التي كانت تحول دون مجيئه. ولا بد أن يشتت مجيئه هذا جمهور الحاضرين حذراً من التنجُّس. كانت هيئته كئيبة ورأسه محلوقاً مكشوفاً، وثيابه ممزقة، وصوته أجش من تأثير المرض في حنجرته، وهو يصرخ تحذيراً للجميع: «نجس! نجس!». وجهه بشع من اهتراء أنفه وأذنيه وشفتيه وجفنيه، لأنه كما يقول البشير: «مملوء برصاً». فلما رأى هذا الأبرص المسيح خرَّ على وجهه وسجد له.

يا أيها التعيس في الظاهر، أنت بالحق سعيد، لأن روح الله ألهمك أن تسجد لهذا الرجل الذي دعوْتَه «يا سيد». لم يسبقك إلى هذا السجود، إلا المجوس الذين سجدوا له في مهده. أما بعدك فيقتدي بك ملايين البشر على اختلاف أجناسهم.

ولكن كيف قبِلَ المسيحُ هذا السجود؟ لم يبرح بعد من آذاننا صوتُه الرهيب لما طرد إبليس من أمامه قائلاً: «مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد». ورسله حتى وملائكته يوقفون سجود الناس لهم، لأنه لا يجوز. فهل هم أصلح من المسيح، وأكثر غيرة منه على حقوق الله الذي وحده يحقُّ له السجود؟ ألا يضطرُّنا الأمر أن نرى في قبول المسيح لهذا السجود الذي قُدِّم له دليلاً كافياً أنه يعلم أن له حقوقاً إلهية؟

يدهشنا إيمان هذا الأبرص اليائس، ونحار في أمره – كيف تولَّد فيه هذا الإيمان؟.. كان لسان المصابين الذين لجأوا إلى المسيح: **«إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ شَيْئاً فَتَحَنَّنْ عَلَيْنَا»** (مرقس ٩: ٢٢) مع أن عللهم لم تكن بعيدة عن الرجاء كعلة هذا الرجل الذي قال: «يا سيد، إن أردتَ تقدر أن تطهرني». في هذه الكلمات أعلن إيمانه بأن المسيح قادر على هذا العمل الذي لا يقدر عليه إلا الله، لكنه لتواضعه لم يجسر أن يحكم هل يشاء المسيح أن يشفيه أو لا يشاء. ومع شدة حاجته احترم

حرية إرادة المسيح، فاستحق أن يكرمه المسيح على ذلك وأن يلتفت إليه.

وبناءً على ما ظهر لم ير المسيحُ مُوجِباً لامتحانه بتأجيل الاستجابة إلى حين كما امتحن غيره، بل لاشى شكوكه حالاً بخصوص إرادته أن يشفيه، فالمسيح لا يؤجل دقيقة واحدة طلب من يريد الشفاء من خطاياه والخلاص بمغفرتها. يهمُّنا أن نلاحظ أن ما دفع المسيح لتطهير هذا الأبرص لم يكن لجاجته (لأنه لم يكن لجوجاً)، ولا حب الافتخار وطلب الشهرة، (لأن المسيح أوصاه أن يكتم خبر شفائه). لكن المسيح شفاه لأنه تحنن، وإظهاراً لحنانه «مدَّ يده ولمسه» تقرُّباً منه.

نرى في لمس المسيح الأبرص أموراً هامة، فقد كافأه المسيح على إيمانه العجيب، إذْ طيَّب قلبه باقترابه ولمْسه، بعد سني نفيه واجتناب الجميع (حتى أهله) له، وبعد عذاباته المتنوعة من هذا المرض الشنيع. لقد اقترب المسيح من الأبرص ولمسه ليلخِّص عمله الفدائي، الذي استوجب أن يرسل الله ابنه في شبه جسد الخطيئة، ويجعل **«ٱلَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ ٱللهِ فِيهِ»** (٢كورنثوس ٥: ٢١).

وفي لَمْس المسيح للأبرص أعلن أن الله محبة، وأنه يضع المحبة قبل الطقوس، فقد قال: **«إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لا ذَبِيحَةً»** (متّى ١٢: ٧) فأبهج هذا الأبرصَ المسكين بلمسةٍ منه، ثم زاده ابتهاجاً وملأ قلبه وفمه شكراً لما أزال شكوكه بخصوص إرادته أن يشفيه بقوله: «أريد فاطهر». هاتان الكلمتان صيَّرتا الأبرص إنساناً جديداً في الخارج وفي الداخل.

رأى المسيح أن في انتشار خبر شفاء الأبرص ضرراً، وأن الرجل متحمِّس ابتهاجاً وراغبٌ في نشره، فأوصاه: «لا تقلْ لأحدٍ شيئاً». لئلا يقول الناس إن المسيح قد تنجس بلمسه الأبرص، وهذا الخبر إنْ شاع يعطّل عمله كثيراً. والسبب الآخر هو قصد المسيح أن لا يزيد الازدحام الذي يقف في وجه عمله الأهم وهو الكرازة والتعليم. ويقول القديس يوحنا فم الذهب إن المسيح قصد أن يحضّ الذين

شفاهم على التأمل بسكوت ووقار في مراحم الله الفائقة نحوهم، وأن يحميهم من الكبرياء إذا أدهشوا الكثيرين بما حدث لهم، وحصلوا بذلك على شهرة.

من الواجب على هذا الرجل اليهودي أن يخضع دون تردُّد للنظام الموسوي. فألحَّ عليه المسيح أن يسرع بالذهاب إلى الكهنة في أورشليم، ليحصل على الشهادة التي تعلن براءته، وتعيد له كامل حقوقه بين شعبه. ومع أن هذا الأمر ليس سهلاً ولا بسيطاً فقد كان لا بد منه. وربما لم يرد المسيح من الرجل أن يعلن عن شفائه المعجزي لئلا يحرمه كهنة أورشليم من الحصول على وثيقة الشفاء، بسبب كرههم للمسيح فقال له: «اذهب أرِ نفسك للكاهن».

وقد سبَّب عصيانُ هذا الأبرص لأمر المسيح انزعاجاً، لأنه سبَّب ازدياد الازدحام. قال البشير: «خرج وابتدأ ينادي كثيراً ويذيع الخبر. فاجتمع جموع كثيرة حتى لم يعد المسيح يقدر أن يدخل مدينة ظاهراً، بل كان خارجاً في مواضع خالية يعتزل في البراري ويصلي» (لوقا ٥: ١٦).

لقد عصى هذا الرجل أمر المسيح له بالسكوت، بعد أن نال الشفاء، وكان الواجب أن يخضع. إن كنت قد نلت شفاءك من مرض الخطيئة بنعمة المسيح، فاعمل على أن تكون المؤمن الخاضع الممتثل لأمر المسيح.

# ٢ – معجزتان في كفر ناحوم

## معجزة صيد السمك

• **«وَإِذْ كَانَ ٱلْجَمْعُ يَزْدَحِمُ عَلَيْهِ لِيَسْمَعَ كَلِمَةَ ٱللهِ، كَانَ وَاقِفاً عِنْدَ بُحَيْرَةِ جَنِّيسَارَتَ. فَرَأَى سَفِينَتَيْنِ وَاقِفَتَيْنِ عِنْدَ ٱلْبُحَيْرَةِ، وَٱلصَّيَّادُونَ قَدْ خَرَجُوا مِنْهُمَا وَغَسَلُوا ٱلشِّبَاكَ. فَدَخَلَ إِحْدَى ٱلسَّفِينَتَيْنِ ٱلَّتِي كَانَتْ لِسِمْعَانَ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُبْعِدَ قَلِيلاً عَنِ ٱلْبَرِّ. ثُمَّ جَلَسَ وَصَارَ يُعَلِّمُ ٱلْجُمُوعَ مِنَ ٱلسَّفِينَةِ. وَلَمَّا فَرَغَ مِنَ ٱلْكَلامِ قَالَ لِسِمْعَانَ: «ٱبْعُدْ إِلَى ٱلْعُمْقِ وَأَلْقُوا شِبَاكَكُمْ لِلصَّيْدِ». فَأَجَابَ سِمْعَانُ: «يَا مُعَلِّمُ، قَدْ تَعِبْنَا ٱللَّيْلَ كُلَّهُ وَلَمْ نَأْخُذْ شَيْئاً. وَلٰكِنْ عَلَى كَلِمَتِكَ أُلْقِي ٱلشَّبَكَةَ». وَلَمَّا فَعَلُوا ذٰلِكَ أَمْسَكُوا سَمَكاً كَثِيراً جِدّاً، فَصَارَتْ شَبَكَتُهُمْ تَتَخَرَّقُ. فَأَشَارُوا إِلَى شُرَكَائِهِمُ ٱلَّذِينَ فِي ٱلسَّفِينَةِ ٱلأُخْرَى أَنْ يَأْتُوا وَيُسَاعِدُوهُمْ. فَأَتَوْا وَمَلأُوا ٱلسَّفِينَتَيْنِ حَتَّى أَخَذَتَا فِي ٱلْغَرَقِ. فَلَمَّا رَأَى سِمْعَانُ بُطْرُسُ ذٰلِكَ خَرَّ عِنْدَ رُكْبَتَيْ يَسُوعَ قَائِلاً: «ٱخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَا رَبُّ، لأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ». إِذِ ٱعْتَرَتْهُ وَجَمِيعَ ٱلَّذِينَ مَعَهُ دَهْشَةٌ عَلَى صَيْدِ ٱلسَّمَكِ ٱلَّذِي أَخَذُوهُ. وَكَذٰلِكَ أَيْضاً يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ٱبْنَا زَبْدِي ٱللَّذَانِ كَانَا شَرِيكَيْ سِمْعَانَ. فَقَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ: «لا تَخَفْ! مِنَ ٱلآنَ تَكُونُ تَصْطَادُ ٱلنَّاسَ!» وَلَمَّا جَاءُوا بِٱلسَّفِينَتَيْنِ إِلَى ٱلْبَرِّ تَرَكُوا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعُوهُ»** (لوقا ٥: ١–١١).

في إحدى الليالي التي قضاها بطرس ويعقوب ويوحنا، وربما أندراوس أيضاً في الصيد، لم ينالوا إلا الفشل، فرجعوا صباحاً إلى الشاطئ خائبين وأرسوا سفينتهم، ثم غسلوا الشباك حسب عادتهم، وما لبثوا إلا قليلاً حتى حصل ازدحام حول معلمهم عند الشاطئ، لأن جمهوراً من الناس جاءوا ليسمعوا كلمة الله. وبعد أن ألقى المسيح

عظته، أمر تلميذه بطرس أن يبعد إلى العمق ويجدد الصيد. وكان هذا صعباً على بطرس، لأنه غسل الشباك وأعدَّها للصيد في الليلة التالية. فإن طرحها مرة أخرى دون أن يفلح، يتحمَّل تعباً لا فائدة منه. ثم بما أنه صياد ماهر، والمسيح نجار، فثقيلٌ على صياد أن يأخذ تعليمات للصيد من نجار، فالمعروف أن يكون الصيد ليلاً، وقلّما يُرجى خير من صيد النهار. وقد أكد اختبار بطرس في الليل الفائت أن الأسماك غير موجودة الآن في تلك البقعة. لذلك اعترض أولاً، ثم عاد فامتثل لأمر المسيح. فحصل حالاً على جزاء طاعته وتسليمه، فقد امتلأت سفينته وسفينة ابني زبدي بالسمك حتى أخذتا في الغرق. فاعترتهم دهشة لهذا الأمر العجيب. أما بطرس فلشدة انفعاله، سجد عند ركبتي سيده وقال: «اخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطئ». نتصوره مدفوعاً إلى هذا الطلب الغريب لخجله بسبب اعتراضه أولاً، ومن ارتعابه لوجود شخص في سفينته قادر أن يعرف جميع سيئاته ويجازيه عليها، كما دفعه أيضاً التواضع ليحسب سفينته حقيرة عن أن تتشرف بشخص مثل المسيح. يرتعب الخاطئ دائماً من رؤية القدوس. فلما رأى بطرس شيئاً جديداً من أمجاد المسيح القدوس ارتعب. لكن المسيح لم يوبخه على طلبه الغريب هذا، لأن طلبه كان مشفوعاً بسبب شريف جداً، وهو الشعور بالخطأ. فلم يكن بطرس يعرف المسيح بعد كما هو، وظن أنه يريد الابتعاد عن الخطاة. وإبليس عادة يزرع مثل هذا الوهم في عقول الخطاة ليحرمهم من الإقبال على المسيح.

لكن المسيح بحكمته ومحبته رفض طلب بطرس، وهذه خُطته دائماً عندما يطلب منه المؤمنون في صلاتهم أموراً ليست للخير. فاستجاب طلب بطرس بعكسه، لأن بطرس طلب أن يَبْعُد المسيح عنه، فاقترب المسيح منه أكثر، لأنه نظر إلى الصواب في قلب بطرس، لا إلى الخطأ في كلامه، وطمأنه حالاً بقوله: «لا تخف». وأكّد له تعيينه ليصيد الناس. وهذا شرف أعظم كثيراً من مهنته السابقة. وهذه هي المهنة التي يريدها المسيح لكل فرد من تابعيه حسب مقدرته واختلاف أحواله.

ولما جاءوا بالسفينتين إلى البر، ترك التلاميذ الأربعة كل شيء وتبعوه.

## معجزة شفاء مشلول

• **«ثُمَّ دَخَلَ كَفَرْنَاحُومَ أَيْضاً بَعْدَ أَيَّامٍ، فَسُمِعَ أَنَّهُ فِي بَيْتٍ. وَلِلْوَقْتِ ٱجْتَمَعَ كَثِيرُونَ حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَسَعُ وَلا مَا حَوْلَ ٱلْبَابِ. فَكَانَ يُخَاطِبُهُمْ بِٱلْكَلِمَةِ. وَجَاءُوا إِلَيْهِ مُقَدِّمِينَ مَفْلُوجاً يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ. وَإِذْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ ٱلْجَمْعِ، كَشَفُوا ٱلسَّقْفَ حَيْثُ كَانَ. وَبَعْدَ مَا نَقَبُوهُ دَلَّوُا ٱلسَّرِيرَ ٱلَّذِي كَانَ ٱلْمَفْلُوجُ مُضْطَجِعاً عَلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ، قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ ٱلْكَتَبَةِ هُنَاكَ جَالِسِينَ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ: «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هٰذَا هٰكَذَا بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلا ٱللهُ وَحْدَهُ؟» فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هٰكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهٰذَا فِي قُلُوبِكُمْ؟ أَيُّمَا أَيْسَرُ: أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَٱحْمِلْ سَرِيرَكَ وَٱمْشِ؟ وَلٰكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ ٱلإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى ٱلأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ ٱلْخَطَايَا» – قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «لَكَ أَقُولُ قُمْ وَٱحْمِلْ سَرِيرَكَ وَٱذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ». فَقَامَ لِلْوَقْتِ وَحَمَلَ ٱلسَّرِيرَ وَخَرَجَ قُدَّامَ ٱلْكُلِّ، حَتَّى بُهِتَ ٱلْجَمِيعُ وَمَجَّدُوا ٱللهَ قَائِلِينَ: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هٰذَا قَطُّ!»** (مرقس ٢: ١-١٢).

بعد هذا عاد المسيح من شاطئ البحر ودخل بيتاً وصار يعلّم، كما علّم سابقاً في الهيكل، وعلى البئر، وفي المجمع، وعلى ظهر السفينة، فكثر الازدحام حوله حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب، وكان يخاطبهم بالكلمة. وحضر بين هذا الجمع الغفير فريسيون ومعلمون للناموس من مدن وقرى عديدة في مقاطعتي اليهودية والجليل حتى ومن أورشليم، ليسمعوا كلامه ويروا معجزاته. فنتصورهم

جالسين في مقام الإكرام بجانب المعلم الشهير الذي أتوا إليه، لأن قوة الرب كانت لشفائهم.

ثم شعر الجمع بحركة غير اعتيادية أحدثها أربعة رجال يحملون مشلولاً على فراش يطلبون أن يصلوا إلى المسيح فلم يقدروا، لأن كثيرين كانوا قد أتوا قبلهم، ينتظرون فرصة ليصلوا إلى هذا الطبيب العجيب لينالوا الشفاء لهم أو لذويهم، فاستنبط حاملو المفلوج طريقة غريبة للوصول بمريضهم إلى المسيح، فقد استدلّوا على مكان جلوس المسيح في البيت، ونقبوا السقف فوق رأسه ودلُّوا الفراش من بين الأجُرّ إلى الوسط قدامه. فيا له من منظر مدهش يستلفت أبصار الجمع الغفير ويشغل أحاديثهم، ولا سيما هؤلاء الغرباء الأكابر! أمام المسيح وأمامهم الآن فراش نزل بينهم يحمل مشلولاً أخرسه الشلل دون أن يمسّ سمعه. لا صوت ولا حركة ولا مطالب إلى حالته المحزنة.

انفرد المسيح عن سائر المعلمين في اهتمامه بأحوال الناس الداخلية قبل الخارجية. ولما كان يعلم الخفايا والأسرار، كان يمكنه أن يوفّق كلامه وأعماله لمقتضيات هذه الأحوال الداخلية، فابتدأ مع هذا العليل بالشفاء الداخلي. إذْ قال له: «ثق يا بنيَّ، مغفورة لك خطاياك» نستنتج من هذا أنه رأى في قلب هذا الشاب توبة عن خطايا كان يحسب مرضه بالشلل قصاصاً لها. فكان مهتماً غاية الاهتمام بغفرانها مع اهتمامه بالشفاء الجسدي. نتصوره من جملة الذين سمعوا تعليم المسيح سابقاً واستفادوا منه. فعند هذه المصيبة الكبيرة، تعلّق قلبه بهذا المعلم أملاً بخلاص روحي وجسدي معاً.

وكان الإيمان القوي الذي أظهره حاملوه الأربعة سبباً عظيماً جعل المسيح يساعده، إذْ نابوا بذلك عن المفلوج الذي منعه خرسه عن إعلان ما في قلبه من التوبة والإيمان، فامتلأ المفلوج، وهو بعد تحت سلطة الشلل، تعزية وفرحاً روحياً حالما سمع كلمة المسيح أن خطاياه مغفورة. فكانت نتيجة مصيبته العظيمة أنها أتت به إلى المسيح الذي خلصه من المصيبة الأعظم جداً، أي حمل خطاياه.

يؤيد صحة كلامنا هذا أن المسيح لا يعلن الغفران إلا لمن هو أهلٌ له بسبب شعوره الروحي. ولا بد أن هذا المفلوج رنَّم في قلبه مع داود النبي: **«طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ. طُوبَى لِرَجُلٍ لا يَحْسِبُ لَهُ ٱلرَّبُّ خَطِيَّةً»** (مزمور ٣٢: ١ و٢). طوبى له لأن الله يرافق غفرانه بسائر بركاته، وليس كالذي تبرِّئه المحاكم الدينية، فإن الله يعطي مع غفرانه مواعيد لا تُقدَّر بثمن، ونعمةً فائضة، ثم المجد الأبدي.

أثبت المسيح حقَّه في منح الغفران، فأثبت لنفسه مقاماً فوق سائر البشر. وقد أثَّر هذا كثيراً في الذين رأوا وسمعوا ما حدث، فلم ينْسَ بطرس فيما بعد عمل المسيح الغفراني، إذ نسمعه يصرّح أمام المجمع الكبير الذي اجتمع في أورشليم ليحاكمه بقوله: **«هٰذَا رَفَّعَهُ ٱللهُ بِيَمِينِهِ رَئِيساً وَمُخَلِّصاً، لِيُعْطِيَ إِسْرَائِيلَ ٱلتَّوْبَةَ وَغُفْرَانَ ٱلْخَطَايَا»** (أعمال ٥: ٣١).

كان شفاء هذا الرجل جسدياً يشبه شفاءه الروحي، في أن حَمْل السرير لم يكن شرطاً سابقاً لنيْل الشفاء، بل نتيجة له. وليس الصلاح شرطاً سابقاً لنوال الغفران بل هو نتيجة للغفران المجاني وثمره.

وكان يشبهه أيضاً في أن شفاء النفس مُنح حالاً. وليس غفران الخطايا وعداً بأمر مؤجل، يحصل عليه الخاطئ عند موته أو بعده، أو بعد أن يظهر استحقاقه، لأن الله يعطي الغفران حالاً عند الطلب المخلص القلبي الحار من إنسان يفهم ماذا يطلب. يستطيع المخلِّص أن يفعل ذلك حالاً لأنه يعلم نيّة الإنسان الداخلية، فلا يحتاج كما يحتاج البشر إلى وقت ليتأكد من استعداد الخاطئ للغفران.

وكان يشبهه كذلك في أن المسيح لم يمنح المفلوج جزءاً فقط من الصحة، ثم يتركه ليسترجع العافية تدريجياً، ويطلب من الأربعة الذين أتوا به أن يحملوا له الفراش ليعود إلى بيته من حيث أتوا. لكنه أعطاه صحة كاملة، وأعطاه أيضاً غفراناً كاملاً لجميع خطاياه دفعة واحدة. فكل ما يفعله المسيح يعمله كاملاً. لو بقي أقل

شيء من الخطيئة بدون غفران لهلكت نفس الرجل، كما لو بقيت الخطيئة كلها. تماماً كما لا يمكن لصاحب سفينة اخترقتها ثقوب عديدة أن يصلح بعضها ويترك ولو واحداً منها، لأن ثقباً واحداً يُغرق السفينة نظير المئة. ولذلك يغفر الله غفراناً كاملاً..

أما الرؤساء الزائرون الجالسون مع المسيح فلم يعترفوا له إلا بالحقوق التي لمعلم بشري، وليس بينها حق مغفرة الخطايا. فاعتبروا المسيح مجدفاً لأنه أخذ لنفسه حقوقاً إلهية، ولذلك حكموا في أفكارهم على المسيح أنه مجدف، وعليه يكون أشر الناس، ويستحق عقاب الرجم حسب شريعتهم.

اهتم المسيح أن يقدم لهم براهين أنه أكثر من معلم بشري، وإذْ ذاك لا يكون منحه الغفران تجديفاً. وأول برهان قدمه على ذلك أنه أعلن لهم ما هي أفكارهم التي لم يظهروها لأحد. وبذلك أتمَّ نبوة إشعياء عنه: **«وَيَحِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ ٱلرَّبِّ، رُوحُ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْفَهْمِ... فَلا يَقْضِي بِحَسَبِ نَظَرِ عَيْنَيْهِ، وَلا يَحْكُمُ بِحَسَبِ سَمْعِ أُذُنَيْهِ»** (إشعياء ١١: ٢ و٣).

ثم أشار المسيح إلى برهان آخر تكلم عنه لكي يتأملوا فيه قبل أن يقدمه لهم فعلاً، أي القوة لشفاء هذا المفلوج، لأن الفالج متى رسخ وطال يكون غير قابل للشفاء. لكن إن شُفي وظهرت النتيجة حالاً، لا يقدر إنسان أن يتهم المسيح بالكذب. لذلك قال للمفلوج: «قم احمل سريرك وامش». أما القول: «مغفورة لك خطاياك» فمن السهل أن يقوله أي كذّاب شاء، لأنه لا توجد واسطة ظاهرة لتكذيبه، ولهذا السبب يكون القول: «مغفورة لك خطاياك» أسهل من القول: «قم احمل سريرك وامش». فالذي يأمر بالشفاء ويَصْدُق فيه، لا يمكن أن يقول بغفران الخطية إلا صدقاً. كان هذا دفاعَ المسيح عن نفسه، فأظهر لهم أن سلطانه على غفران الخطايا هو حقُه على الأرض كابن الإنسان، لأنه ابن الله أيضاً. ثم ليثبت قوله بفعله قال للمفلوج: «قم احمل سريرك واذهب إلى بيتك».

وحالاً قام المفلوج صحيحاً، فالذين لم يفسحوا لحامليه الطريق في دخوله، تسابقوا الآن للتفسيح في خروجه. والسرير الذي حمله وهو داخل، وكان دليل سقمه، صار يحمله وهو خارج دليلَ شفائه التام. فما أقوى العبارة التي وُضعت لبيان شفائه: في الحال قام أمامهم، وحمل ما كان مضطجعاً عليه، وخرج قدام الكل، ومضى إلى بيته وهو يمجد الله.

# ٣ – المسيح يدعو متّى

• **«ثُمَّ خَرَجَ أَيْضاً إِلَى ٱلْبَحْرِ، وَأَتَى إِلَيْهِ كُلُّ ٱلْجَمْعِ فَعَلَّمَهُمْ. وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى لاوِيَ بْنَ حَلْفَى جَالِساً عِنْدَ مَكَانِ ٱلْجِبَايَةِ، فَقَالَ لَهُ: «ٱتْبَعْنِي». فَقَامَ وَتَبِعَهُ. وَفِيمَا هُوَ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِهِ كَانَ كَثِيرُونَ مِنَ ٱلْعَشَّارِينَ وَٱلْخُطَاةِ يَتَّكِئُونَ مَعَ يَسُوعَ وَتَلامِيذِهِ، لأَنَّهُمْ كَانُوا كَثِيرِينَ وَتَبِعُوهُ. وَأَمَّا ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا رَأَوْهُ يَأْكُلُ مَعَ ٱلْعَشَّارِينَ وَٱلْخُطَاةِ، قَالُوا لِتَلامِيذِهِ: «مَا بَالُهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ ٱلْعَشَّارِينَ وَٱلْخُطَاةِ؟» فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: «لا يَحْتَاجُ ٱلأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ ٱلْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى ٱلتَّوْبَةِ»** (مرقس ٢: ١٣–١٧).

يوجه إليك السيد المسيح الآن دعوة لتتبعه.. تماماً كما سبق أن وجَّه الدعوة لأحد جُباة الضرائب واسمه «متّى». لما وصل المسيح إلى محل الجباية حيث يحصّل مأمور الحكومة الرومانية الضرائب على البضاعة المنقولة من بلاد إلى بلاد، وقف مقابل أحد هؤلاء الرجال، وبعد السلام ناداه: «اتبعني».

لم يكن باطن هذا الأمر بسيطاً كظاهره، لأنه كان في ظروف هذا المدعو الجديد ما ينفّر منه جميع الذين مع المسيح. ومع أنه ابن بلدهم كفر ناحوم، واسمه متّى أي «عطية الله». واسمه العبراني لاوي يعلن أنه من العائلة الكهنوتية الشريفة. ومع أنه من أصحاب المعارف، ومن أهل اليُسْر المالي، لكنه كان من جباة الضرائب المرذولين المحتقرين. وهذا يكفي لاشمئزاز كل محب، ولشماتة كل مبغضي المسيح، إنْ لبَّى متّى العشار دعوة المسيح وانضم إلى تلاميذه.

لنا في دعوة المسيح لمتّى شاهد جديد على عظمة المسيح المبنيَّة على استقلاله عن الآراء السائدة عند الجميع في أيامه. وهذا الشاهد يتفق اتفاقاً جميلاً مع القول بلاهوته، لأن البشر يُجَارون المجتمع في أفكارهم. ألم يقل الرب لشعبه: **«أَفْكَارِي**

**لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلا طُرُقُكُمْ طُرُقِي يَقُولُ ٱلرَّبُّ»**؟ (إشعياء ٥٥: ٨). فمخالفة أفكار المسيح ومبادئه لأفكار معاصريه ومبادئهم، دليل على أنه ليس من الأرض، فقد كان الرؤساء والمتقدمون بين اليهود يكرهون جابي الضرائب ويحرمونه من الحقوق المدنية، ولا يقبلون شهادته في المحاكم، وكانوا يعتبرونه من المرابين والمقامرين واللصوص والقتلة والزناة والوثنيين، فلا يطلبون منه إحساناً، ولا يخالطونه خصوصاً وقت الطعام، وكانوا يشبّهون العشارين بين سكان المدن بالوحوش الضارية بين الحيوانات. فنتيجة لهذا حدث أن الذين لدناءتهم كانوا يقبلون هذه الوظيفة ازدادوا بفعلها دناءةً شيئاً فشيئاً، حتى صار تحقيرهم حكماً عادلاً إلا في ما ندر. كيف إذاً يدعو المسيح عشاراً ليكون تلميذاً ملازماً ثم رسولاً عنده؟

لم يكن ممكناً أن يكون المسيح مثل الرؤساء والمتدينين في إغضائهم عن العدد الكبير من اليهود الذين دخلوا بالاختيار وبالتسلسل في صفّ العشارين. لا بل إن روح المروءة جعلت المسيح يمنح هؤلاء المحتقرين التفاتاً خاصاً.. وهذا ما فعله لما دعا متّى العشار ليتبعه.

رأى المسيح زلات معلمي الدين تفوق كثيراً زلات العشارين في الجسامة وفي استحقاقها الدينونة، فصرَّح مراراً وجهاراً بهذا الحكم العادل. ولو أدرك الفريسيون هذا، لسلِموا من دينونته المخيفة، فإن الخطاة الذين يشعرون بخطاياهم ويعترفون بها له، هم أقرب إلى ملكوت الله من المتظاهرين رياءً بالتديُّن، لذلك تنسَّم المسيح الخير الأعظم من العشارين المرفوضين.

أدرك المسيح شخصاً من الطبقة السفلى، لما بشّر السامرية وقادها إلى التوبة والإيمان، وها هو يدعو متّى ليُدخِله إلى ملكوته الروحي. فأوضح أن رداءة العشارين هي حُجَّتهم لينالوا منه التفاتاً ممتازاً، لأنه كطبيب لا يطلب الأصحاء بل المرضى. ومخلّص الفريسيين هو أيضاً مخلّص العشارين، حتى أنه قال مرة لرؤساء الكهنة وشيوخ الشعب: **«ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ ٱلْعَشَّارِينَ وَٱلزَّوَانِيَ يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ ٱللهِ، لأَنَّ يُوحَنَّا جَاءَكُمْ فِي طَرِيقِ ٱلْحَقِّ فَلَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ، وَأَمَّا ٱلْعَشَّارُونَ**

**وَٱلزَّوَانِي فَآمَنُوا بِهِ»** (متّى ٢١: ٣١، ٣٢). بهذا الكلام أظهر المسيح أن نصيب المعمدان كان نصيبه هو أيضاً، إذْ رفضه الرؤساء غير التائبين، بينما تمسك به الأشرار التائبون.

لا نظن أن هذه بداءة معرفة متّى بن حلفى للمسيح. نرجِّح أنه كان قد سمع وعظه تكراراً ومال إلى تعاليمه، وأنه رأى معجزاته وآمن به إيماناً بسيطاً نظير كثيرين غيره. ونعتقد أنه ابتدأ يكره وظيفته الدنيئة ويشتهي أن يتركها. وأن المسيح نظر إلى هذا الاستعداد السابق، فعرف متّى أهلاً لهذه الدعوة، فدعاه حتى ترك كل شيء وقام وتبعه حتى الآن، وظهر عمل النعمة فيه، فتحوَّلت ميوله عن حب المال إلى حب التضحية بالمال بل وبكل شيء، لأجل المسيح.

لم يكتف متّى بترك وظيفته وأرباحها لأجل المسيح، بل أضاف على ذلك أنه صنع ضيافةً في بيته للمسيح، دعا إليها معه زملاءه العشارين والخطاة، لأن غيرهم لا يلبّون دعوة عشار. لا بد أنه قصد بذلك أن يفتح الباب لهم ليستنيروا كما استنار هو، وهذا دأْبُ كل مستنير. ومتّى هو الوحيد بين الرسل الذي ذُكر له عمل كهذا، أظهر به امتنانه الزائد للمسيح الذي تنازل ودعاه ليكون تلميذاً ملازماً له بعد أن خلّصه من ورطة الآثام. قدّر متّى هذه الدعوة حقَّ قدرها، فإن الخسارة التي تحمّلها في تركه كل شيء، لا تُقاس بما ربحه عوضاً عن تلك الخسارة. فضلاً عن الكرامة التي منحها الله له على مرّ السنين، إذ صارت بشارته فاتحة الإنجيل وخُلِّد اسمه فوق أسماء معاصريه من ملوك وعلماء وأغنياء، وربح بواسطة إنجيله نفوساً بلا عدد، كان هو هاديهم إلى الملكوت السماوي. هذا وكل من يترك منكرات هذا العالم، حتى وخيراته وملذاته، لأجل اتّباع هذا المعلم السماوي وخدمته، لا بد أن ينال ربحاً جزيلاً.

أظهر متّى صدق تقواه الجديدة في أنه بدأ يفكر في ماذا يعطي، لا ماذا يأخذ. نرى البعض يميلون إلى اعتبار ذواتهم متفضّلين على الكنيسة في انضمامهم إليها، ويطلبون مقابل ذلك منافع زمنية، يماثلون بطرس الذي في إحدى سقطاته الكثيرة

سأل المسيح: **«هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟»** (متّى ١٩: ٢٧). بينما يجب أن يعتبروا الكنيسة مفضَّلة عليهم بقبولها لهم، ويقدمون للكنيسة قسماً مهماً من خيراتهم الزمنية إظهاراً لشكرهم.

يذكر متّى في بشارته دعوة المسيح له، لكنه أظهر تواضعه بعدم ذكره أنه ترك كل شيء وتبعه، وأنه صنع ضيافة كبيرة له. لوقا فقط يخبر بذلك. ثم بينما مرقس في قائمة الرسل، ولوقا في قائمته، يتحفّظان ولا يسمّيانه «متّى العشار»، يطلق هو قائمته هذا اللقب على نفسه، فيعطي نفسه الاسم المحتقر، كأنه يتعمَّد أن ينسب الفخر للمسيح الذي تنازل وضمَّ عشاراً إلى رسله.

يقول المثل الدارج في كل لغات الشرق والغرب «إن الطيور على أشكالها تقع». وقد نظر الفريسون إلى المسيح بعين الاحتقار، لاختياره مخالطة الأدنياء ومجالسهم ومؤاكلتهم. لكن هذا المثل يصحُّ فقط في من يتلذذ بمعاشرة الأشرار، لارتباطه معهم في المبادئ. ومثل هذا لا حقَّ له أن يتستّر وراء قدوة المسيح الذي عاشر الخطاة المختلفين عن ميوله ومبادئه، ليغيّرهم ويهديهم إلى النور السماوي.

قبل المسيح دعوة متّى للضيافة في بيته، وبذلك هدم جداراً فاصلاً بين رتب الناس وطبقاتهم، وأعلن بأن الله لا يفضل أحداً على أحد **«بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ ٱلَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ ٱلْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ»** (أعمال ١٠: ٣٥). وكان مبدأ المساواة في الحقوق والكرامة عند الله بين غني وفقير، وعالم وبسيط وملك وعبد، غير معروف في ذلك الزمان، بل صرّح به المسيح أولاً، وأورثه للعالم أثمن كنز.

من يمعن النظر في هذا الاجتماع الغريب يرى طرفي النقيض في بيت متّى. على الجانب الواحد نرى المسيح الذي سُميّ «القدوس» (مرقس ١: ٢٤). وهو الكامل الذي يكره حتى أقل درجات الدنس والشر والخطيئة على أنواعها كَرْهاً لا يوصف. ثم الجانب الآخر نرى زمرة العشارين والخطاة. فكيف يمتزج الفريقان؟ لنا الجواب في كلام المسيح الذي قاله بمناسبة هذه الضيافة، فإنه قد جاء ليدعو

الخطاة للتوبة.

تذمر الكتبة والفريسيون لأن المسيح قبل دعوة متّى واشترك في وليمته. لا مانع عندهم من أن يجلس عشارون على مائدة عشار، لكنهم عيَّروا المسيح على ذلك واشمأزوا من امتزاجه مع هذا الجمهور المحتقر.

لما شفى المسيح المفلوج في بيت آخر في هذه المدينة، بكّتهم المسيح وأبكمهم على اعتراضهم الفكري، لذلك لم يجسروا أن يعلنوا أفكارهم ويهاجموه باعتراضاتهم الآن، خوفاً من ردّه عليهم رداً أقوى من الرد الأول، فصوَّبوا هجومهم ضد التلاميذ وقالوا لهم: «ما بال معلمكم يأكل ويشرب مع العشارين والخطاة؟». ثم «لماذا أنتم تأكلون وتشربون مع العشارين والخطاة؟».

لم يصبر المسيح على تلاميذه ليجاوبوا، بل أسرع هو بالجواب، فلم يكن التلاميذ مستعدين بعد ليقدموا جواباً كافياً في أمر عظيم الأهمية كهذا، لأنه يتعلق بقصد المسيح الرئيسي في تركه السماء وظهوره متأنساً في العالم. ففي جوابه أعلن وظيفته الروحية التي كانت أعماله الظاهرة رمزاً وإيضاحاً لها. كان يشفي الأجسام ليوضح للناس أنه طبيب الأنفس. فكما أنهم رأوا اهتمامه بالسُّقماء في معجزات الشفاء، وَجَبَ أن يعرفوا اهتمامه بالخطاة لأجل شفاء أنفسهم من الخطيئة. في هذا الكلام يعلن لأول مرة أنه هو طبيب الأرواح. فكما يعلمون أن الطبيب لا يقدم خدمته للأصحاء بل للمرضى، يجب أن يعلموا أيضاً أن المخلِّص يقدم خدمته للخطاة وليس للأبرار. لا يعالج طبيب سقيماً يدَّعي السلامة من المرض، وكذلك لا يخلِّص المخلّص خاطئاً يدَّعي السلامة من الخطيئة. وهذا ما كان يدَّعيه هؤلاء المتدينون ظاهراً، والمفتخرون بأنهم معلّمو الدين. لو كانوا حقاً أبراراً كما يدَّعون، لفرحوا بأن يروا من المسيح اهتماماً بالضالين ليهديهم إلى الصراط المستقيم، ولكانوا يدركون أن امتزاج الطبيب مع السقماء فخر له لا عيب، وليس فيه دليل على أن الطبيب مثل مريضه، أو شريكه في السقام.

أظهر المسيح بقوله: «لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» أهمية التوبة.

وما هي هذه التوبة التي يدعو إليها؟ أولاً: هي شعور الإنسان بفظاعة الخطيئة وبأنه خاطئ. ثانياً: الأسف الشديد على ما مضى من خطاياه. ثالثاً: العزم الحقيقي بتركها في المستقبل. رابعاً: الالتجاء إلى مانح الغفران الإلهي في روح التوبة، والاستعانة بنعمته للثبات فيها.

# ٤ – شفاء مريض بركة بيت حسدا

- **«وَبَعْدَ هٰذَا كَانَ عِيدٌ لِلْيَهُودِ، فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَفِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ ٱلضَّأْنِ بِرْكَةٌ يُقَالُ لَهَا بِٱلْعِبْرَانِيَّةِ «بَيْتُ حِسْدَا» لَهَا خَمْسَةُ أَرْوِقَةٍ. فِي هٰذِهِ كَانَ مُضْطَجِعاً جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنْ مَرْضَى وَعُمْيٍ وَعُرْجٍ وَعُسْمٍ، يَتَوَقَّعُونَ تَحْرِيكَ ٱلْمَاءِ. لأَنَّ مَلاكاً كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَاناً فِي ٱلْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ ٱلْمَاءَ. فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلاً بَعْدَ تَحْرِيكِ ٱلْمَاءِ كَانَ يَبْرَأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ ٱعْتَرَاهُ. وَكَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ بِهِ مَرَضٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلاثِينَ سَنَةً. هٰذَا رَآهُ يَسُوعُ مُضْطَجِعاً، وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَاناً كَثِيراً، فَقَالَ لَهُ: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» أَجَابَهُ ٱلْمَرِيضُ: «يَا سَيِّدُ، لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ يُلْقِينِي فِي ٱلْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ ٱلْمَاءُ. بَلْ بَيْنَمَا أَنَا آتٍ يَنْزِلُ قُدَّامِي آخَرُ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قُمِ. ٱحْمِلْ سَرِيرَكَ وَٱمْشِ». فَحَالاً بَرِئَ ٱلإِنْسَانُ وَحَمَلَ سَرِيرَهُ وَمَشَى. وَكَانَ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ سَبْتٌ»** (يوحنا ٥: ١–٩).

يروي البشير يوحنا في الأصحاح الخامس من بشارته قصة شفاء رجل مريض منذ ٣٨ سنة، كان يقيم عند بركة اسمها بركة بيت حسدا، فيها نبعٌ فوَّار بجوار المدينة المقدسة، يفور فينسب الناس إلى مياهه الفائرة فاعلية شفائية. وقد تردَّد الناس على هذه البركة بكثرة لينالوا الشفاء، مما دعا إلى بناء خمسة أروقة (عنابر) حول هذه البركة ليأوي إليها الذين يطلبون الاستفادة من هذه المياه عند فورانها.

جاء المسيح في يوم سبت إلى هذه الأروقة ورأى فيها جمهوراً كثيراً من مرضى وعمي وعُرج وعُسم مضطجعين يتوقّعون تحريك الماء. من بين هذا الجمهور التعيس المحزن اختار المسيح شخصاً واحداً متقدماً في السن ليشفيه، فيتبارك السبت المقدس بفعل الرحمة فيه. فلماذا اختار المسيح هذا المريض بالذات ليشفيه؟ هل لصعوبة أمره لكبر سنِّه، ولمرور ثمان وثلاثين سنة على مرضه؟ لا شك أنه

كان أطول المرضى إقامة عند البركة. نستنتج أيضاً أن المسيح رآه مناسباً ليمنحه الشفاء، لأنه علم أن مرضه هذا أتاه نتيجة آثام كان قد ارتكبها، فيسهل منحه شفاء روحياً أيضاً مع شفائه الجسدي. كما رأى فيه الشرط ليمدَّ له يد المساعدة، وهو اليأس. إنْ لم ييأس الإنسان من أمره، وعلى الأخص من أمر خلاص نفسه، بدون المسيح، لا يمكن أن يمدَّ له المسيح يد المساعدة أو يخلصه.

وقف المسيح عند هذا الرجل على فراشه، وتفرَّس فيه، وسأله سؤالاً ظاهره بسيط، يبيّن اهتمام هذا المعلم الغريب القادم من الجليل بخبر هذا العليل الذي يجهله. قال له: «أتريد أن تبرأ؟» كان يمكن أن يستخفَّ هذا الرجل بهذا السؤال الفضولي من غريب، لكنه احترم المسيح وكشف له أمره. لا بد أنه تأثر من هيئة المسيح، كما تأثر من صوته، فاحترمه وأجابه: «يا سيد، ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرك الماء، بل بينما أنا آتٍ، ينزل قدامي آخر». علَّق المسيح أمر الشفاء على إرادة هذا العليل. والمسيح يوقف دائماً وأبداً أمر خلاص النفس على إرادة الخاطئ.. يسأله: «أتريد أن تَخْلُص؟» لقد أعلن الله صريحاً أنه هو يريد خلاص الجميع، ومع ذلك يبقى على الخاطئ أن يريد، وإلا فالخلاص لا يتم.

من جواب المقعد على سؤال المسيح نرى أن مرضه ثقيل لدرجة أنه في هذه السنين كلها لم يمكنه أن يسبق الآخرين في النزول من الرواق إلى البركة عند تحريك الماء. كما نرى أيضاً أنه وحيد، ليس له معين يقدّم له هذه الخدمة الضرورية. لو عرف هذا المسكين أن المسيح قصده لأنه ليس إنسان، وأن افتقاره هذا هو حُجَّته عند المخلص، لتغيَّرت لهجته من اليأس إلى الرجاء. ولا يزال هذا المخلص يطلب ويخلّص من يشعر ويعترف أنْ ليس له إنسان آخر، كما قال صاحب المزامير: **«لا تَتَّكِلُوا عَلَى ٱبْنِ آدَمَ، حَيْثُ لا خَلاصَ عِنْدَهُ»** (مزمور ١٤٦: ٣).

لكن وجود هذا المريض عند البركة في بيت حسدا يدلّلُ على أنه يطلب الشفاء. فلماذا يسأله المسيح «أتريد؟» والإجابة: كانت إرادة المريض قد صارت سقيمة كجسمه بسبب تكرار الفشل ومرور السنين. وكان لا بد من إنهاض قوة الإرادة

لتشترك مع قوة المسيح الشافي، فينفض المريض من خموله المعتاد. ويصدق هذا أيضاً على الخاطئ الذي يلازم فروض الدين الخارجية، فيُظهر بذلك أنه من طالبي الخلاص من الخطيئة. لكنه يخشى أن يتكرر فشله في مقاومته للخطيئة بسبب سلطتها عليه، سنوات طويلة بدون تغيير فيصيب الخمول إرادته، ويفتر في طلب الخلاص من الخطيئة. لذلك سأله المسيح: «أتريد؟».

سؤال المسيح هذا في محلّه أيضاً، نظراً لكثرة الذين لا يريدون هذا الخلاص. وهو لا يمكن أن يمنحه إلا لمن يريد من كل قلبه هذه الهبة التي لا تُثمَّن.

كان هذا الرجل قد حدَّد لنفسه كيفية الشفاء الذي يطلبه، فأتاه الشفاء على صورة تخالف تصوُّراته تماماً. كان يوجه نظره وميوله وأشواقه نحو البِركة التي منها توقع الشفاء عند تحريك الماء بواسطة ملاك حسب زعمه، لكن أتاه المسيح – الذي تنفذ كل الملائكة أمره عند سماع صوت كلامه – ومنحه شفاء لم يكن يحمل بمثله.

أمر المسيح المريض: «قم احمل سريرك وامش». وكنا لا نستغرب الأمر لو أن المريض أجابه: «أقمني أنت وانزلني إلى البركة وقت تحريك الماء، وحينئذ أحمل سريري وامشي. إن كنت حقاً تشفق عليّ وترثي لحالتي، انتظر معي هنا تحريك الماء، وكُنْ أنت الصديق لوقت الضيق، الذي طالما اشتاقت نفسي لمجيئه، ولم يأت». لكننا نمدحه لأنه لم يتقيد بظنونه وتصوراته المتعلِّقة بالشفاء. ومنه نتعلم أن نأخذ المعرفة اللازمة للخلاص من تعاليم المسيح، وليس من تصوُّراتنا السابقة ولا من غيرنا من البشر.

لما كان الشفاء من الأمراض رمزاً للخلاص من الخطيئة، لم يؤجل المسيح شفاء هذا الرجل مع أن ذلك اليوم كان سبتاً. فالخلاص أيضاً لا يؤجل. واليوم المقدس هو أفضل يومٍ لإتمامه. وفي قول المسيح للرجل: «قم» يقول: «افعل ما تستطيع أن تفعله، وإلا فلا شفاء لك». وهو يقول مثل ذلك للخاطئ: «تيقَّن أن الذي يأمرك أن تأتي إليه يعطيك القوة الكافية لذلك. أنت تستطيع أن تدرس الكتاب الإلهي،

وتستطيع أن تجثو مصلياً. تستطيع أن تواظب على الاجتماعات في المعبد. تستطيع أن تسترشد من الذين تعتبرهم مرشدين. فقُم. تحرَّكْ روحياً».

أحيا المسيح بروحه رجاءً في هذا اليائس، فشعر المريض بنشاط جديد في عضلاته عندما تحرك، وحالاً برئ وحمل سريره ومشى. وعندما أمر المسيح الرجل أن يحمل سريره أوجب عليه أن يبرهن شفاءه السريع المجاني الكامل بعملٍ ظاهر يمجّد شافيه، فأمره أن يهجر مرقده الذي ألفه هذه السنين الطوال، ولا يترك باباً مفتوحاً للعودة إليه، كأنه يشكُّ في حقيقة شفائه ودوامه. وكأن المسيح يأمره أن يخرج ليمارس الأعمال المفيدة له ولغيره. وهذا ما يقوله المخلّص دائماً للخاطئ: «امْحُ ما تستطيع من آثار خطاياك بعد نيلك الغفران الحالي المجاني الكامل، واخرج بعد حصولك على الخلاص لتمارس الأعمال الروحية المفيدة لك ولغيرك. بدلاً من أن يحملوك احمل. بدلاً من يخدموك اخدم. قدِّم بعملك برهان خلاصك. اعلن عزمك التام أن لا تعود إلى حياتك القديمة الأثيمة».

ومن قول المسيح للرجل: «امشِ» يبيّن له أنه لا يكفي مجرد الشفاء، بل عليه أن يترك صُحبة السقماء، ويقصد صحبة الأصحاء وأعمالهم، عليه أن يخرج بين الناس ويُريهم ما عمل به المسيح. على الخاطئ الذي يخلّصه المسيح أن يترك عشرته القديمة الفاسدة أولاً، ويطلب عشرة الأتقياء ليتقوى في الإيمان. عليه أيضاً أن يُظهر للجميع بكلامه وأفعاله التغيُّر المهم الذي حصل فيه، ويمجد بذلك مخلصه. لقد حوَّل صوت المسيح محل صلاة التوبة إلى محل الخلاص.

• **«فَقَالَ ٱلْيَهُودُ لِلَّذِي شُفِيَ: «إِنَّهُ سَبْتٌ! لا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَحْمِلَ سَرِيرَكَ». أَجَابَهُمْ: «إِنَّ ٱلَّذِي أَبْرَأَنِي هُوَ قَالَ لِي ٱحْمِلْ سَرِيرَكَ وَٱمْشِ». فَسَأَلُوهُ: «مَنْ هُوَ ٱلإِنْسَانُ ٱلَّذِي قَالَ لَكَ ٱحْمِلْ سَرِيرَكَ وَٱمْشِ؟». أَمَّا ٱلَّذِي شُفِيَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ، لأَنَّ يَسُوعَ ٱعْتَزَلَ، إِذْ كَانَ فِي ٱلْمَوْضِعِ جَمْعٌ. بَعْدَ ذٰلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي ٱلْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: «هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ، فَلا تُخْطِئْ أَيْضاً، لِئَلا يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ». فَمَضَى ٱلإِنْسَانُ وَأَخْبَرَ ٱلْيَهُودَ**

**أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ٱلَّذِي أَبْرَأَهُ. وَلِهٰذَا كَانَ ٱلْيَهُودُ يَطْرُدُونَ يَسُوعَ، وَيَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لأَنَّهُ عَمِلَ هٰذَا فِي سَبْتٍ. فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى ٱلآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». فَمِنْ أَجْلِ هٰذَا كَانَ ٱلْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ ٱلسَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ ٱللهَ أَبُوهُ، مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِٱللهِ»** (يوحنا ٥: ١٠-١٨).

أطاع المريض أمر المسيح الذي شفاه، فحمل فراشه وسار وسط الناس، وكان ذلك يوم سبت، فانتقده رؤساء الدين اليهود. ولما سألوه عن الذي أمره أن يحمل فراشه لم يعرف. وكم من أشخاص يكتفون بما عمله المسيح لأجلهم، ولا يهتمون بمعرفة شخصه ليقدّموا له الشكر الواجب على خلاصهم.

كان التعصُّب الأعمى قد ملأ نفوس شيوخ اليهود، فأرادوا أن يهلكوا المسيح لأنه أمر المريض أن يحمل فراشه في يوم سبت. لم يهتموا أن يسألوا الرجل: من هو الإنسان الذي شفاك، بل فقط: «من هو الإنسان الذي قال لك احمل سريرك وامشِ؟».

ولما لم يحصلوا على جواب منه لجهله من هو الذي شفاه، تركوه. لكن المسيح لم يتركه، فقد وجده في الهيكل وقال له: «ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشرّ». إن كل العذاب الذي يجوز فيه الإنسان لا يجلب التوبة ولا يطفئ فيه الميول الشريرة، فعذاب هذا الرجل كل هذه السنين لا يضمن أنه سيبتعد عن الخطيئة فيما بعد. ولذلك نصحه المسيح أن يتحذَّر من الرجوع إلى الخطية.

وما أن عرف الرجل اسم شافيه حتى أخبر رؤساء اليهود، فأرادوا أن يقتلوا المسيح. فقال لهم: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل». وفي هذا القول نلاحظ إفرازة ذاته في قوله «أبي» بصيغة المفرد، معلناً جليّاً أنه ابن الله الوحيد. ويعلّق البشير على هذا بقوله: «من أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه، لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضاً إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله». وردت تكراراً تسميه البشر

أبناء الله، ولكن لم ترد مطلقاً على صورة تتطلّب معادلتهم بالله، لذلك اعتبر شيوخ اليهود كلام المسيح تجديفاً وفكروا في إعدامه كمجدف.

نحن مدينون لهذه المقاومة مع أنها عدائية، لأنها جعلت المسيح يُلقي خطاباً من أهم خطبه، أعلن فيه جهاراً لأول مرة أمام الجمهور، حقيقة طبيعته الإلهية وعلاقته مع الآب.

- **«فَقَالَ يَسُوعُ لَهُمُ: «اَلْحَقَّ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لا يَقْدِرُ اَلابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً إِلا مَا يَنْظُرُ اَلآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهٰذَا يَعْمَلُهُ اَلابْنُ كَذٰلِكَ. لأَنَّ اَلآبَ يُحِبُّ اَلابْنَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ، وَسَيُرِيهِ أَعْمَالاً أَعْظَمَ مِنْ هٰذِهِ لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ اَلآبَ يُقِيمُ اَلأَمْوَاتَ وَيُحْيِي، كَذٰلِكَ اَلابْنُ أَيْضاً يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ. لأَنَّ اَلآبَ لا يَدِينُ أَحَداً، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ اَلدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ، لِكَيْ يُكْرِمَ اَلْجَمِيعُ اَلابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ اَلآبَ. مَنْ لا يُكْرِمُ اَلابْنَ لا يُكْرِمُ اَلآبَ اَلَّذِي أَرْسَلَهُ. «اَلْحَقَّ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ اَنْتَقَلَ مِنَ اَلْمَوْتِ إِلَى اَلْحَيَاةِ. اَلْحَقَّ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ اَلآنَ، حِينَ يَسْمَعُ اَلأَمْوَاتُ صَوْتَ اَبْنِ اَللهِ، وَاَلسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ اَلآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَذٰلِكَ أَعْطَى اَلابْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، وَأَعْطَاهُ سُلْطَاناً أَنْ يَدِينَ أَيْضاً، لأَنَّهُ اَبْنُ اَلإِنْسَانِ. لا تَتَعَجَّبُوا مِنْ هٰذَا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ اَلَّذِينَ فِي اَلْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ اَلَّذِينَ فَعَلُوا اَلصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ اَلْحَيَاةِ وَاَلَّذِينَ عَمِلُوا اَلسَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ اَلدَّيْنُونَةِ. أَنَا لا أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لا أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ اَلآبِ اَلَّذِي أَرْسَلَنِي»** (يوحنا ٥: ١٩-٣٠).

لم يرفض المسيح تهمة أن الله أبوه، وأنه معادل لله، بل أنه لم يرض السكوت

عنها، لئلا يعتبر سكوته تسليماً وتصديقاً على اعتراضهم. بالعكس، لقد أيَّد التهمة ولم ينكرها، وزاد كثيراً على كلامه بهذا الخصوص، فقال: «لأن مهما عمل الآب يعمله الابن كذلك. لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله. وكما أن الآب يقيم الأموات ويحيي، كذلك يحب الابن أيضاً يحيي من يشاء. لأن الآب قد أعطى كل الدينونة للابن، لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله. وكما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً».

- **«إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقّاً. ٱلَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ ٱلَّتِي يَشْهَدُهَا لِي هِيَ حَقٌّ. أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمْ إِلَى يُوحَنَّا فَشَهِدَ لِلْحَقِّ. وَأَنَا لا أَقْبَلُ شَهَادَةً مِنْ إِنْسَانٍ، وَلٰكِنِّي أَقُولُ هٰذَا لِتَخْلُصُوا أَنْتُمْ. كَانَ هُوَ ٱلسِّرَاجَ ٱلْمُوقَدَ ٱلْمُنِيرَ، وَأَنْتُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْتَهِجُوا بِنُورِهِ سَاعَةً. وَأَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا، لأَنَّ ٱلأَعْمَالَ ٱلَّتِي أَعْطَانِي ٱلآبُ لأُكَمِّلَهَا، هٰذِهِ ٱلأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا ٱلَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ ٱلآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي. وَٱلآبُ نَفْسُهُ ٱلَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلا أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ، وَلَيْسَتْ لَكُمْ كَلِمَتُهُ ثَابِتَةً فِيكُمْ، لأَنَّ ٱلَّذِي أَرْسَلَهُ هُوَ لَسْتُمْ أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِهِ. فَتِّشُوا ٱلْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ ٱلَّتِي تَشْهَدُ لِي. وَلا تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ. «مَجْداً مِنَ ٱلنَّاسِ لَسْتُ أَقْبَلُ، وَلٰكِنِّي قَدْ عَرَفْتُكُمْ أَنْ لَيْسَتْ لَكُمْ مَحَبَّةُ ٱللهِ فِي أَنْفُسِكُمْ. أَنَا قَدْ أَتَيْتُ بِٱسْمِ أَبِي وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَنِي. إِنْ أَتَى آخَرُ بِٱسْمِ نَفْسِهِ فَذٰلِكَ تَقْبَلُونَهُ. كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْداً بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ؟ وَٱلْمَجْدُ ٱلَّذِي مِنَ ٱلإِلٰهِ ٱلْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟ «لا تَظُنُّوا أَنِّي أَشْكُوكُمْ إِلَى ٱلآبِ. يُوجَدُ ٱلَّذِي يَشْكُوكُمْ وَهُوَ مُوسَى، ٱلَّذِي عَلَيْهِ رَجَاؤُكُمْ. لأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي، لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي. فَإِنْ كُنْتُمْ لَسْتُمْ تُصَدِّقُونَ**

**كُتُبَ ذَاكَ، فَكَيْفَ تُصَدِّقُونَ كَلاَمِي»** (يوحنا ٥: ٣١-٤٧).

يستشهد المسيح بخمسة شهود على أنه ابن الله الوحيد:

١. يستشهد بالمعمدان الذي يرجح أنهم كانوا قد سمعوا شهادته أن يسوع ابن الله، لأنهم لا يستطيعون الشك بصدق شهادته، ولا الرد على كلامه، فذكرها تسهيلاً لإيمانهم.

٢. استشهد بأعماله.

٣. ثم استشهد بمن لا تُقابَل عظمته مع عظمة غيره، وهو الآب ذاته. فهُمْ لتوغُّلهم في الشرور لم يسمعوا صوته، ولا أبصروا هيئته، كما سمع المسيح وأبصر.

٤. ثم أتاهم بشاهدٍ رابع هو كتبهم المقدسة قال: «**فَتِّشُوا ٱلْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ ٱلَّتِي تَشْهَدُ لِي**».

٥. ثم أتاهم بشاهد خامس هو زعيمهم موسى، قال: «**لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي، لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي. فَإِنْ كُنْتُمْ لَسْتُمْ تُصَدِّقُونَ كُتُبَ ذَاكَ، فَكَيْفَ تُصَدِّقُونَ كَلاَمِي؟**».

وفي هذا الخطاب ذكر المسيح عمله المزدوج الموكول إليه من قبل الآب: أي الإحياء والإهلاك، فصرَّح بأن الهلاك نتيجة إرادة الإنسان «لا تريدون أن تأتوا إليّ لتكون لكم حياة». لكن لئلا يظن سامعوه أنه يدّعي بالطبيعة الإلهية فقط (كما كان يفعل لو كان خادعاً ومخدوعاً) فهو يعلن ناسوته أيضاً في قوله: «أعطاه الآب سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان». وفي آخر خطابه يبكتهم المسيح على عدم اكتراثهم للمجد الذي يأتي من الله للمستحقين ذلك، وعلى اهتمامهم بالمجد العالي الذي يأتيهم من الناس دون نظرٍ إلى الاستحقاق.

عزيزي القارئ، ماذا تقول أنت في المسيح؟ هل تؤمن بما شهد الإنجيل عنه؟

# ٥ – تعليم المسيح عن الصوم

• **«وَكَانَ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا وَٱلْفَرِّيسِيِّينَ يَصُومُونَ، فَجَاءُوا وَقَالُوا لَهُ: «لِمَاذَا يَصُومُ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا وَٱلْفَرِّيسِيِّينَ، وَأَمَّا تَلاَمِيذُكَ فَلا يَصُومُونَ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو ٱلْعُرْسِ أَنْ يَصُومُوا وَٱلْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ مَا دَامَ ٱلْعَرِيسُ مَعَهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصُومُوا. وَلٰكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ ٱلْعَرِيسُ عَنْهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ ٱلأَيَّامِ. لَيْسَ أَحَدٌ يَخِيطُ رُقْعَةً مِنْ قِطْعَةٍ جَدِيدَةٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيقٍ، وَإِلا فَٱلْمِلْءُ ٱلْجَدِيدُ يَأْخُذُ مِنَ ٱلْعَتِيقِ فَيَصِيرُ ٱلْخَرْقُ أَرْدَأَ. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ، لِئَلا تَشُقَّ ٱلْخَمْرُ ٱلْجَدِيدَةُ ٱلزِّقَاقَ، فَٱلْخَمْرُ تَنْصَبُّ وَٱلزِّقَاقُ تَتْلَفُ. بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ»** (مرقس ٢: ١٨–٢٢).

يبدو أن تلاميذ يوحنا المعمدان كانوا يصومون حسب النظام اليهودي، بينما لم يكن المسيح ولا تلاميذه يراعون فروض الصوم. وعندما دعا المسيح متّى العشار ليتبعه أقام متّى له وليمة ولتلاميذه ليتناولوا الطعام في بيته، فأثار هذا انتقاد قادة اليهود للمسيح.

كان الصوم أمراً عظيماً عند اليهود، كما هو الآن عند كثيرين غيرهم. طلب منهم النظام المُنزَل أن يصوموا يوماً واحداً في السنة، وهو يوم الكفارة. ولكنهم توهّموا أن مجرد الصوم يُرضي الله، فزادوا أصواماً جديدة سنوية عديدة، مبتدئين بذلك في سبي بابل. ووصل بهم الأمر أن فرضوا على أنفسهم صوم يومين في كل أسبوع على مدار السنة. ونستنتج من جواب المسيح على سؤال اليهود أن الله ترك أمر الصوم اختيارياً، وتابعاً للظروف التي تقضي به، فلا محل للصوم إلا في الأحوال الملائمة. وهذا يعني أنه لا يجب تحديد أصوام في أوقات معيّنة تُحفَظ على سبيل الفرض، سواء كانت الظروف تدعو إلى الصوم أم لا. كثيراً ما كانت

أصوام شعب الله قديماً مكرهة لله، فقد قال الله على فم إشعياء: **«يَقُولُونَ: لِمَاذَا صُمْنَا وَلَمْ تَنْظُرْ، ذَلَّلْنَا أَنْفُسَنَا وَلَمْ تُلاحِظْ؟» هَا إِنَّكُمْ فِي يَوْمِ صَوْمِكُمْ تُوجِدُونَ مَسَرَّةً، وَبِكُلِّ أَشْغَالِكُمْ تُسَخِّرُونَ. هَا إِنَّكُمْ لِلْخُصُومَةِ وَٱلنِّزَاعِ تَصُومُونَ، وَلِتَضْرِبُوا بِلَكْمَةِ ٱلشَّرِّ. لَسْتُمْ تَصُومُونَ كَمَا ٱلْيَوْمَ لِتَسْمِيعِ صَوْتِكُمْ فِي ٱلْعَلاءِ. أَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ صَوْمٌ أَخْتَارُهُ؟ يَوْماً يُذَلِّلُ ٱلإِنْسَانُ فِيهِ نَفْسَهُ، يُحْنِي كَٱلأَسَلَةِ رَأْسَهُ، وَيَفْرِشُ تَحْتَهُ مِسْحاً وَرَمَاداً. هَلْ تُسَمِّي هَذَا صَوْماً وَيَوْماً مَقْبُولاً لِلرَّبِّ؟ أَلَيْسَ هَذَا صَوْماً أَخْتَارُهُ: حَلَّ قُيُودِ ٱلشَّرِّ. فَكَّ عُقَدِ ٱلنِّيرِ، وَإِطْلاقَ ٱلْمَسْحُوقِينَ أَحْرَاراً، وَقَطْعَ كُلِّ نِيرٍ. أَلَيْسَ أَنْ تَكْسِرَ لِلْجَائِعِ خُبْزَكَ، وَأَنْ تُدْخِلَ ٱلْمَسَاكِينَ ٱلتَّائِهِينَ إِلَى بَيْتِكَ؟ إِذَا رَأَيْتَ عُرْيَاناً أَنْ تَكْسُوهُ، وَأَنْ لا تَتَغَاضَى عَنْ لَحْمِكَ»** (إشعياء ٥٨: ٣–٧).

الصوم المقبول إذاً هو الصوم الطبيعي الناتج عن حزن حقيقي. نرى الحزين يهمل الطعام، لأن نفسه تنفر من التلذُّذ في حالة الحزن، لأن الجسم لانشغاله بانفعالات الحزن يكون غير مستعد للهضم الطبيعي. وكما أن الفرح يعين الهضم، فالحزن يعيقه. ولكن تذليل الجسم دون تذلل الروح باطل. وقد حذر المسيح في الموعظة على الجبل من الصوم الافتخاري والتظاهر فيه، وبيَّن أن الصوم الأكثر قبولاً لديه هو الذي لا يعلم به إلا الله والصائم (متّى ٦: ١٦–١٨).

في جواب المسيح على سؤال اليهود عن الصوم، يظهر أن لتلاميذ المعمدان ما يوجب الصوم، بما أن رئيسهم ومعلمهم قد أُخذ منهم، وهو مطروح ظلماً في سجن مظلم. لكن ليس عند تلاميذ المسيح هذا الموجب لأن رئيسهم معهم. في الوقت ذاته أشار المسيح إلى يومٍ مقبلٍ عليهم، حين يُرفع عنهم عريسهم (أي رئيسهم) – وقتها ينوحون ويصومون. نرى في هذا تلميحاً إلى عنف اليهود وقساوتهم في أخذ المسيح للصليب، كما أشار النبي في قوله: **«مِنَ ٱلضُّغْطَةِ وَمِنَ ٱلدَّيْنُونَةِ أُخِذَ»** (إشعياء ٥٣: ٨). نعم إنه سلّم ذاته للصلب بإرادته الحرة، وبمشورة الله المحتومة وعلمه السابق، لكن ذلك لم يمنع ما أتى في تكملة هذه الآية في وعظ بطرس، إذ قال لصالبي المسيح: **«وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ»** (أعمال ٢: ٢٣).

في هذا الحديث عن الصوم يذكِّر سامعيه من تلاميذ المعمدان أن معلّمهم شبَّه نفسه بالعريس، وشبّه تلاميذه بأنهم «بنو العرس». فكيف يُنتظَر من بني العرس أن ينوحوا ويصوموا؟ هذا أقوى كلام استخدمه للتعبير عن الاتحاد الكلي بين المسيح وشعبه المؤمن.

تشبه العلاقة بين المسيح وبين نفوس المؤمنين به علاقة العريس مع العروس، من أوجه عديدة. فالمسيح يحب المؤمنين به حباً شديداً حتى الموت، وإلى الأبد. وهذا الحب يوجد اتحاداً تاماً بينه وبينهم، فيصيرون معه واحداً، إذ هم في المسيح والمسيح فيهم. هم الجسد الذي هو رأسه، وهو يفي جميع ديونهم للعزة الإلهية، ويقوم بكافة احتياجاتهم اليومية. وهو يشترك معهم في كل مصائبهم، ويتحمل كل همومهم، ويرثي لكل ضعفاتهم، ويصبر على زلاتهم، ويطيل أناته على كل إهانتهم، ولا يتركهم مطلقاً. هو يعتبر ما يفعله أحدٌ بهم من الخير والشر، كأنه فعله له. وهو مستعد أن يهبهم المجد الذي أعطاه له الآب قبل خَلق العالم، وحيث يكون هو، يريد أن يكونوا هم أيضاً. هذه العلاقة الشريفة الفائقة هي النتيجة السعيدة للإيمان به، وثمر الانضمام إليه.

بعد أن أوضح المسيح أن علاقة المؤمنين به تشبه علاقة العريس بالعروس، أعلن رأيه في فريضة الصوم. لكنه لم يكتف بذلك، بل أوضح حقائق بخصوص سائر الفرائض الموسوية، فقدم لسامعيه مثلين آخرين يوضحان النسبة بين النظام اليهودي القديم، ونظامه هو الجديد. ويبدو أن المسيح كان يوجّه كلامه على الأخص إلى تلاميذ المعمدان الذين ظنّوا أن الجديد الذي أتى به المسيح يُضاف إلى القديم الذي أتى به موسى، ولكنه لا يحل محله، فيبقى القديم محفوظاً، الأمر الذي يعني أن المسيح وتلاميذه يجب أن يمارسوا كل الطقوس اليهودية. فأعلن المسيح أن الجديد القوي إن تعلَّق على القديم البالي يتلفه، فلا يعود ينفع شيئاً، فقال: «ليس أحدٌ يخيط رقعة من قطعة جديدة، أو من ثوب جديد، على ثوب عتيق». فكل من عنده حكمة ولو بسيطة لا يفعل ذلك.. ولا يضع الفهيم الخمر

الجديدة في زقاق عتيقة، لأن نتيجة ذلك تكون إتلاف الغلاف والمغلَّف وضياع كل فائدة. الثوب غلاف يكتسي به الإنسان، والزقاق غلاف يغلّف به الخمر. والمسيح يعلّمنا هنا أن الغلاف متى خدم زمانه وعتق، يكون الحكم فيه الإبدال لا الترقيع. هذا لا يعيب العتيق الذي يكون قد أتمَّ القصد من وضعه، فيشيخ كما تشيخ النبوَّة الصادقة عند إتمامها.

بهذا التشبيه اللطيف أوضح المسيح أن النظام الطقسي الموسوي كان قد خدم زمانه وعتق، فلم يعد من الممكن إصلاحه، بل وجب إبداله بنظام جديد يخلفه، لأن فروض شريعة موسى فروض خارجية هي بمثابة غلاف الدين. وكما أن الإنسان الذي يريد أن يحضر عرساً، وكان ثوبه عتيقاً معيباً في شيء، لا يصلحه برقعة جديدة، بل يأتي بثوب جديد.. كذلك الأمر في حياتنا الدينية. فإن أراد أحدُ سامعي المسيح من تلاميذ المعمدان أو الفريسيين، أن يتبع هذا العريس السماوي، عليه بثوب جديد، أي فرائض جديدة، كالمعمودية بدلاً من الختان، والعشاء الرباني بدلاً من عشاء الفصح، والقسوسية بدلاً من الكهنوت، وتقديس اليوم الأول بدلاً من السابع، والكنيسة بدلاً من الهيكل، ومنبر الوعظ بدلاً من مذبح المحرقة.

وفي المَثَل الثاني قال المسيح: الذي يقبل تعليمي الجديد عليه أن يقبله في قلب جديد، مولود ولادة جديدة من الروح الإلهي. وختم المسيح خطابه بقوله: «ليس أحدٌ إذا شرب العتيق يريد للوقت الجديد، لأنه يقول إن العتيق أطيب». هذا يعني أن القلب المتجدد هو الزقُّ الجديد الذي يقدر أن يحتمل ضغط الخمر الجديدة، أي التعليم الجديد المسيحي القوي، وهذا تفسير القديس باسيليوس. ويفسر القديس أوغسطينوس أن هذا القول صَدَقَ بالأكثر في يوم الخمسين، لما حلَّت الخمر الجديدة – أي انسكاب الروح القدس بقوة في الزقاق الجديدة، أي الرسل المتجددين بالولادة من فوق. وفسَّر بعضهم أن الزقاق العتيقة هي الفريسيون، والزقاق الجديدة هي الرسل.

كان تلاميذ يوحنا يتمسَّكون بالقديم، لأن هذه عادة البشر. ويحتاج الأمر إلى

وقت للترويّ والبحث ليقفوا على تفوُّق الجديد على العتيق. لنا هنا نموذج للتصرُّف مع الذين نقصد إنارتهم بنور جديد. يجب أن لا نستعمل القساوة والإلحاح الزائد، بل لنقدِّر الصعوبات التي تعارض اقتناعهم بأفضلية الجديد.

# ٦ – تعليم المسيح عن السبت

• **«وَفِي ٱلسَّبْتِ ٱلثَّانِي بَعْدَ ٱلأَوَّلِ ٱجْتَازَ بَيْنَ ٱلزُّرُوعِ. وَكَانَ تَلامِيذُهُ يَقْطِفُونَ ٱلسَّنَابِلَ وَيَأْكُلُونَ وَهُمْ يَفْرُكُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ. فَقَالَ لَهُمْ قَوْمٌ مِنَ ٱلْفَرِّيسِيِّينَ: «لِمَاذَا تَفْعَلُونَ مَا لا يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي ٱلسُّبُوتِ؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ وَلا هٰذَا ٱلَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ، حِينَ جَاعَ هُوَ وَٱلَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ ٱللهِ وَأَخَذَ خُبْزَ ٱلتَّقْدِمَةِ وَأَكَلَ، وَأَعْطَى ٱلَّذِينَ مَعَهُ أَيْضاً، ٱلَّذِي لا يَحِلُّ أَكْلُهُ إِلا لِلْكَهَنَةِ فَقَطْ؟» وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ ٱبْنَ ٱلإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ ٱلسَّبْتِ أَيْضاً»** (لوقا ٦: ١–٥).

كان المسيح وتلاميذه يسيرون بين الزروع، فأخذ التلاميذ يقطفون السنابل ويأكلون. لم يكن في هذا العمل خطأ، لأن شريعة موسى كانت تسمح به، إذْ كانت تقول: **«إِذَا دَخَلْتَ زَرْعَ صَاحِبِكَ فَٱقْطِفْ سَنَابِلَ بِيَدِكَ، وَلٰكِنْ مِنْجَلاً لا تَرْفَعْ عَلَى زَرْعِ صَاحِبِكَ»** (تثنية ٢٣: ٢٥). ولكن لما قطف تلاميذ المسيح السنابل كان ذلك يوم سبت، فاعتبر رؤساء اليهود أن القطف نوع من الحصاد الممنوع في يوم السبت، وأن الفرك هو نوع من الدِّراس ودارس الغلال في السبت ممنوع. لذلك اعتبروا هذا العمل مخالفاً لإحدى وصايا الله العشر التي كُتبت بأُصبع الله على لوحي حجر في الجبل المقدس، ثم سُلِمت لموسى كليم الله بين الرعود والبروق ودخان النار المخيفة بياناً لأهميتها، وتأكيداً لتوقيرها. ولما كانت وصية السبت هي الوحيدة بين العشر التي تختصّ بالطقوس الخارجية، فاق اعتناء الطقسيين بها على اعتنائهم بما بقي من الوصايا، وتوصّلوا إلى مبالغات غريبة في النهي عن العمل في السبت، خرجت على كل ما ورد في الشريعة.

وانتقد الفريسيون عمل تلاميذ المسيح وقالوا له: «أُنظر، لماذا يفعلون في السبت ما لا يحل؟».. وفي ردّ المسيح على رؤساء اليهود، اقتبس لهم ما ورد في التوراة

التي كانوا يفتخرون كثيراً بمعرفتهم الدقيقة لنصوصها. فابتدأ بتأنيبهم لأنهم لم يتذكروا ما فعله داود نبيُّهم وملكهم وقائدهم الأعظم بعد موسى – فعندما جاع هو والرجال الذين معه، أكلوا طعاماً لم يكن يحلّ أكله إلا للكهنة فقط، وهكذا خالف داود شريعة الهيكل في استسلامه لشريعة الرحمة لما جاع هو والذين معه. فإن كان الرب لم يبكت داود على ذلك، فقد جاز لابن داود الأعظم أن يسمح لتابعيه أن يقطفوا فريكاً ويأكلوه في السبت.

ثم استشهد المسيح بحادث ثانٍ كان يتجدد كل سبت أمام عيونهم بأوامر إلهية، وليس كالأول بمجرد استحسان رجل من رجال الله، ولذلك فهو أقوى جداً. قال: «أَوَمَا قرأتم في التوراة أن الكهنة في السبت في الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء؟». يدنسون السبت أولاً بإيقاد النار لأجل الذبائح، وثانياً بمضاعفة أشغالهم يوم السبت. فإذاً العمل الذي هو خدمة دينية، لا يوافق فقط أن يمارس في السبوت، بل يُضاعف أيضاً.

ثم زاد المسيح على هذا أنه بيّن سلطته الدينية، لأنه أعظم من الهيكل، بل هو رب الهيكل. فإن كانت عظمة الهيكل تجيز تدنيس السبت بالأعمال في خدمته، فكم بالحري يحقّ لرب الهيكل أن يُجيز ذلك، لأن رب الهيكل يكون رب السبت أيضاً وهو ذاته الهيكل الذي **«فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ ٱللاهُوتِ جَسَدِيّاً»** (كولوسي ٢: ٩) وفيه تُقدَّم العبادة الحقيقية لله، لأنه الوسيط بين الله والناس (١تيموثاوس ٢: ٥) فما دام الهيكل أعظم من السبت فكم بالحري رب الهيكل؟

ثم أضاف المسيح شرحاً آخر: «إنما جُعل السبت لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت». فالسبت والهيكل وُضعا لخدمة الإنسان ومنفعته. والمسيح رب السبت يكرمه ويثبّته، وفي الوقت ذاته يوسعه ويحرره من القيود التي قيّده بها الفريسيون. فلو كان المسيح مجرد بشر، لما حقَّ له أن يسمّي ذاته رب السبت.

نستنتج من عبارات عديدة في الإنجيل أن المسيح استعمل سلطانه كرب السبت

ونقله من اليوم السابع في الأسبوع، إلى اليوم الأول الذي هو يوم الأحد، فسُمِّي يوم الأحد يوم الرب. والمقصود هو تخصيص يوم الرب لأعمال الضرورة والرحمة والعبادة. وطالما نكرس لله يوماً من كل سبعة أيام تكريساً ممتازاً، تتمُّ غاية الوصية الإلهية، فإبدال اليوم السابع بالأول، أجراه الرسل بإشارة من المسيح، وبإلهام من روحه القدوس. ولا يخالف هذا الإبدال روح الوضع الإلهي وقصده، فنحسب أن الله وضع في عهده القديم اليوم السابع، حافظاً لعهده الجديد يوماً أشرف منه، هو الأحد، اليوم الأول في الأسبوع. وكما كان السبت اليهودي تذكاراً للعمل الإلهي في الخلق، ويُسمَّى في الكتاب «استراحة الخالق في اليوم السابع»، كذلك يكون السبت الجديد المسيحي، تحويل موضوع التذكار إلى ما هو أعظم من فعل الخلق، وهو عمل الفداء، الذي تمَّ بقيامة الفادي في اليوم الأول، ولذلك تَسَمَّى «يوم الرب». وهو تذكار أيضاً للعمل العظيم في يوم الخمسين لما تأسست الكنيسة المسيحية في يوم الرب، بواسطة انسكاب الروح القدس العجيب. ولا يقدر أحداً أن يصف أو يدرك مقدار فوائد السبت المسيحي في تاريخ تمدُّن العالم، من زمن المسيح إلى الآن، وما أعظم الأضرار التي تنجم عن إهماله.

نتيجة تعليم المسيح في هذا الأمر هي أن الوصية الأولى والعظمى (وهي المحبة لله) لا يمكن أن تعارض الثانية التي هي مثلها (أي المحبة للناس). فلا يمكن أن يرضى الإله بحفظ سبته على صورة فيها قساوة نحو الناس، لذلك ذكَّرهم بالقول النبوي القديم: **«إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لا ذَبِيحَةً، وَمَعْرِفَةَ ٱللهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحْرَقَاتٍ»** (هوشع ٦: ٦). وقال لهم إنهم لو علموا معنى هذا القول لما حكموا على تلاميذه الأبرياء.

- **«وَفِي سَبْتٍ آخَرَ دَخَلَ ٱلْمَجْمَعَ وَصَارَ يُعَلِّمُ. وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ ٱلْيُمْنَى يَابِسَةٌ، وَكَانَ ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ يُرَاقِبُونَهُ: هَلْ يَشْفِي فِي ٱلسَّبْتِ، لِكَيْ يَجِدُوا عَلَيْهِ شِكَايَةً. أَمَّا هُوَ فَعَلِمَ أَفْكَارَهُمْ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَدُهُ يَابِسَةٌ: «قُمْ وَقِفْ فِي ٱلْوَسَطِ». فَقَامَ وَوَقَفَ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَسْأَلُكُمْ**

**شَيْئاً: هَلْ يَحِلُّ فِي ٱلسَّبْتِ فِعْلُ ٱلْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ ٱلشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ إِهْلاكُهَا؟». ثُمَّ نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى جَمِيعِهِمْ وَقَالَ لِلرَّجُلِ: «مُدَّ يَدَكَ». فَفَعَلَ هٰكَذَا. فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَٱلأُخْرَى. فَٱمْتَلأُوا حُمْقاً وَصَارُوا يَتَكَالَمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ: مَاذَا يَفْعَلُونَ بِيَسُوعَ؟»** (لوقا ٦: ٦-١١).

لم يطل الوقت حتى أعطى المسيح الدرس الثالث في هذه السلسلة المتصلة بموضوع السبت، وكان ذلك أيضاً في يوم سبت. أعطى الدرس الأول في الهيكل، والثاني في الحقول، وهذا الدرس الثالث في مجمع. عُرف أنه لا يرى عليلاً إلا ويودُّ شفاءه، ولا يراه عليل إلا ويطلب منه الشفاء.. في هذا السبت وهو يعلّم في المجمع، لاحظ الكتبة والفريسيون الحاضرون إنساناً بين الجمع يده يابسة. وتوجَّهت أفكارهم حالاً نحو هذا الشخص، وأرادوا شفاءه، لا شفقةً عليه، بل ليجدوا علَّة على المسيح تمكِّنهم من تقديم شكاية رسمية عليه للمجلس الأعلى. وهكذا أظهروا اهتمامهم بالرجل المريض وسألوا المسيح: «هل يحلُّ الإبراء في السبوت؟».

لم يحترم المسيح سؤالهم ليجيب عليه لأنهم غير مخلصين. لكنه بعد أن أوقف العليل في الوسط، ليظهر للجميع أنه لا يهاب مقاوميه، ولا يخشى مقاومتهم، وليبكم أعداءه، طرح عليهم سؤالاً: ماذا يوافق القصد الإلهي أكثر من يوم السبت: فعل الخير أو فعل الشر؟ تخليص هذا الرجل في يوم سبت، وهذا فعل خيري، بينما أنتم تقصدون قتلي في هذا اليوم، وهذا فعل شر. فأيٌّ منا يحفظ وصية السبت، وأيُّنا يخالفها؟ ثم ذكّرهم أن ليس بينهم إنسان لا ينتشل في السبت خروفاً له سقط في حفرة، فكم بالحري يجب أن يُنتشَل من هو أفضل جداً من الخروف؟ كان مقرراً حتى عند الفريسيين أن من يهمل نفساً وهو قادر أن يخلّصها يكون قد أهلكها. فدانهم المسيح بسؤاله هذا، دينونة لم يستطيعوا الاعتراض عليها.

وانتظر المسيح جوابهم، لكنهم سكتوا. وفي هذا السكوت بيان سطوته الأدبية. لكن ليس عندهم ضمير حي ينبّههم إلى غلطتهم، ويبكّتهم على غلاظة قلوبهم،

ليعترفوا بذلك ويطلبوا الرحمة لصاحب اليد اليابسة. فحالتهم هذه تضطر المسيح كمصلح إلى الغضب، وتضطره كمخلّص إلى الحزن «فنظر حوله إلى جميعهم بغضب، حزيناً على غلاظة قلوبهم». الغضب في الحزن يسمو به، والحزن في الغضب يقدسه ويجعله فضيلة سامية. قال الرسول: **«اِغْضَبُوا وَلا تُخْطِئُوا»** (أفسس ٤: ٢٦). كثيراً ما نقرأ في الكتاب عن الغضب الإلهي، وليس في الإله إلا ما هو فضيلة وكمال – وهذا حال غضب المسيح، فالغضب في محله فضيلة لا رذيلة. كان المسيح غاضباً على هؤلاء المعتزّين بكبريائهم، كما كان حنّاناً على صاحب اليد اليابسة، فشفاه بكلمتين فقط. وبهذا الشفاء العجيب أثبت صحة ما قاله عن نفسه إنه رب السبت، فشفاه بقوله «مدَّ يدك». كان يخشى أن يجيبه جواباً طبيعياً ويقول: «إني عاجز عن ذلك. فلو كنتُ قادراً على مدِّ يدي لاستغنيت عن إحسانك». لكنه آمن، وإلا ما حاول المستحيل. لم يعطه المسيح شفاءً جزئياً بل كاملاً، فعادت يده صحيحة كالأخرى. ولا يعطي المسيح غفراناً جزئياً بل كاملاً لكل من يلتجئ إليه.

نرى في صاحب اليد اليابسة وفي شفائه مثالاً صادقاً للخاطئ والخلاص. فلم يكن العمل الذي شفاه عمله، بل عمل المسيح. لكن عمل المسيح لا يشفيه ما لم يؤمن بذلك العامل وبعمله. وهكذا العمل الذي يخلص الخاطئ هو عمل المسيح لا عملنا. إنما تتوقف نتيجة عمل المسيح في خلاص الخاطئ على إيمان هذا الخاطئ بشخص هذا المخلّص وخلاصه.

في هذه الحوادث الثلاث المتعلقة بالسبت، أوضح المسيح مبدأه الجوهري الذي أشار إليه بعدئذ في قوله: **«اَلْكَلامُ اَلَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ»** (يوحنا ٦: ٦٣). والذي أوضحه رسوله في قوله: **«لأَنَّ اَلْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلٰكِنَّ اَلرُّوحَ يُحْيِي»** (٢كورنثوس ٣: ٦). وقد أغاظ هذا القول الكتبة والفريسيين، فيقول البشير إنهم «امتلأوا حمقاً، وصاروا يتكالمون في ما بينهم ماذا يفعلون بالمسيح». لقد كانوا مستعدين بحجة المحافظة على وصية السبت أن يضحّوا بالوصية السادسة القائلة:

«لا تقتل». فشابهت أفكارهم ومعاملتهم للمسيح أفكار أهل العالم ومعاملاتهم في جميع الأجيال لرجال الله الممتازين. فالأنبياء والرسل والشهداء والمصلحون قد قاسوا جميعاً ما قاساه المسيح جزاء غيرتهم الوقادة وتقواهم الممتازة. ولا تخلو المراقبة العدائية من فائدة للصالحين، لأنها تزيدهم حرصاً على حسن السيرة والسريرة، وتزيد وضوح الشهادة بفضائلهم التي تظهر بهذه المراقبة الشديدة.

# ٧ – المسيح يختار تلاميذه

• **«وَفِي تِلْكَ ٱلأَيَّامِ خَرَجَ إِلَى ٱلْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى ٱللَّيْلَ كُلَّهُ فِي ٱلصَّلاةِ لِلّهِ. وَلَمَّا كَانَ ٱلنَّهَارُ دَعَا تَلامِيذَهُ، وَٱخْتَارَ مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ، ٱلَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيْضاً «رُسُلاً»: سِمْعَانَ ٱلَّذِي سَمَّاهُ أَيْضاً بُطْرُسَ وَأَنْدَرَاوُسَ أَخَاهُ. يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا. فِيلُبُّسَ وَبَرْثُولَمَاوُسَ. مَتَّى وَتُومَا. يَعْقُوبَ بْنَ حَلْفَى وَسِمْعَانَ ٱلَّذِي يُدْعَى ٱلْغَيُورَ. يَهُوذَا بْنَ يَعْقُوبَ، وَيَهُوذَا ٱلإِسْخَرْيُوطِيَّ ٱلَّذِي صَارَ مُسَلِّماً أَيْضاً. وَنَزَلَ مَعَهُمْ وَوَقَفَ فِي مَوْضِعٍ سَهْلٍ، هُوَ وَجَمْعٌ مِنْ تَلامِيذِهِ، وَجُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ ٱلشَّعْبِ، مِنْ جَمِيعِ ٱلْيَهُودِيَّةِ وَأُورُشَلِيمَ وَسَاحِلِ صُورَ وَصَيْدَاءَ، ٱلَّذِينَ جَاءُوا لِيَسْمَعُوهُ وَيُشْفَوْا مِنْ أَمْرَاضِهِمْ، وَٱلْمُعَذَّبُونَ مِنْ أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ. وَكَانُوا يَبْرَأُونَ. وَكُلُّ ٱلْجَمْعِ طَلَبُوا أَنْ يَلْمِسُوهُ، لأَنَّ قُوَّةً كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْهُ وَتَشْفِي ٱلْجَمِيعَ»** (لوقا ٦: ١٢–١٩).

اجتمع قادة اليهود على كراهية المسيح. وبالرغم من انقسامهم إلى أحزاب، اتفقوا على قتله. كان الفريسيون يكرهون ما اعتبروه كسر المسيح لوصية السبت، فقالوا عنه: «إنه مفسِدُ الأمة ومجدف ومضلّ وسامري فيه شيطان، وعشير الشياطين والخطاة، ناقضُ الهيكل والناموس». أما الهيرودسيون فقد خشوا من أنه سيأخذ العرش من الملك هيرودس.

ولما رأى المسيح هذا الاتفاق عليه، انصرف إلى شاطئ بحيرة طبرية ليقدم خدمته للجمهور المحتاج، وليختار جماعة من مريديه ليدربهم على الخدمة، لينشروا الرسالة من بعد أنه يقتله شيوخ اليهود. فالتفَّت الجموع الكثيرة حوله آتيةً من الجليل واليهودية، وأيضاً من أدومية وساحل صور وصيدا وعبر الأردن (أي بيرية) فشفاهم جميعاً.

في هذا التجمهُر في موضع سهل، ظهر أن قسماً من الجمع أقبل على المسيح ليسمع تعليمه، ولو أن الكثيرين جاءوا لأجل الشفاء. وقد أخرج المسيح الشياطين من المعذبين بها. وقد عرفته الشياطين مكرهين على ذلك بقوة إلهية هي سطوة المسيح. كان الجمهور يتهافت على المسيح ليلمسه، لأن قوة كانت تخرج منه وتشفي الجميع، حتى اضطر أن يأمر تلاميذه بأن تلازمه سفينة صغيرة لسبب الجَمْع، كي لا يزحموه. كانت القوة التي تخرج منه عند لمس المرضى له تكلفه جهداً.. كان يفتقر هو ليُغني غيره ويتعب ويضعف ليربح ويقوّي الآخرين.

نحول النظر الآن إلى اختيار المسيح لتلاميذه، الذين سيكون عملهم شفاء الأمراض وإخراج الشياطين باسمه، ونشر التعاليم الجديدة، وتنظيم المؤمنين الجدد وتدوين حقائق الدين لتوريثها للأجيال التي بعدهم.

لم يختر المسيح عظماء العالم لئلا ينسبوا إلى أنفسهم، وينسب العالم إليهم، القسم الأعظم من النجاح، فلا يتمجد الله كما يجب، وقد أصاب الرسول بولس في قوله: **«وَلٰكِنْ لَنَا هٰذَا ٱلْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ ٱلْقُوَّةِ لِلّٰهِ لا مِنَّا»** (٢كورنثوس ٤: ٧). لذلك نرى المسيح يختار رجالاً من الضعفاء والجهلاء ويصيّرهم أكفاء. وكانت النتيجة أنهم فاقوا سائر عظماء العالم في حُسن تأثيرهم. اختارهم في أوائل سني خدمته ليتمكّن من تدريبهم قبل صعوده.

وقد قضى بعض تلاميذه في رفقته وقتاً كافياً ليختبروه، فرسخ إيمانهم به، واختبروا محبته، واحتملوا المحن والصعوبات والمقاومات في سبيله. اختارهم اثني عشر تلميذاً بعدد أسباط بني إسرائيل، ليربط العهدين القديم والجديد. عرف أهمية اختيار التلاميذ وصعوبته فقضى الليل كله في الصلاة – كان هذا الليل المضني لقواه الجسدية كزرعٍ ظهر حصاده في ثمار هؤلاء الرسل، في قدوتهم وأفعالهم وكتاباتهم التي ملأت الأرض. وهذا الحصاد يتجدد ويتزايد جيلاً بعد جيل لمجد الله ومسيحه وفخر الذين سمَّاهم رسلاً.

قال البشير: «ولما كان النهار صعد إلى الجبل، ودعا تلاميذه الذين أرادهم فذهبوا إليه، واختار وأقام منهم اثني عشر ليكونوا معه، وليرسلهم ليكرزوا، ويكون لهم سلطان على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين». سمّاهم «رسلاً» لأنه أرسلهم ليعملوا باسمه لا باسمهم، قال لهم بعدئذ: **«كَمَا أَرْسَلَنِي ٱلآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا»** (يوحنا ٢٠: ٢١). أقامهم قبل صعوده بمدة كافية لينسيهم كثيراً مما تلقّنوه في مدارسهم في الصغر، وما تعلموه من رؤسائهم في الكبر، من الآراء المضِلَّة والعوائد الذميمة، وليشبعهم من الغذاء الجديد الروحي الذي هو التعاليم الإلهية الصحيحة، وليفهمهم روح التعاليم القديمة الحقيقي.

نصحب المسيح بأفكارنا وهو ينظر حوله بعد جلوسه بنظرة الحب الممتاز والرضى، فليس حوله إلا الذين دعاهم. نصغي إلى هذا السيد الذي يزيّن جلالُه ثيابَه، بينما يوضح لهؤلاء حقيقة مشروعه المهم، وسمو مقاصد محبته وعظمة مسؤوليته التي سيضعها على عاتق الذين سينتقيهم من بينهم. لكن ماذا تكون أفكار سامعيه؟ لا شك أن كل فردٍ منهم يشتاق أن يكون من المختارين، لأن هذا برهان ثقة معلِّمه به، وفرصته الذهبية ليصاحب معلمه ليحصل على إرشاداته الخصوصية، ثم على خدمة ممتازة. لا بد أن عواطفهم جاشت عندما ابتدأ يسمي رسولاً بعد آخر، والتفت الجميع إلى الذي يُسمَّى بنظرة التطويب، وربما بقليل من الحسد الطبيعي.

كان إقدام سمعان بن يونا ونشاطه وغيرته أسباباً كافية لتعطيه الاسم الأول في قوائم الرسل الأربع التي حُفظت لنا، فنستنتج أن المسيح دعاه أولاً في هذا الاختيار، وأنه دعاه باسمه الجديد «بطرس» الذي يدفع الالتباس بينه وبين سمعان الثاني بين الرسل. ثم تلا ذلك تسمية أخيه أندراوس – أول من تبع المسيح بعد ظهوره – وأول مبشر مسيحي في التاريخ، لأنه هو الذي أتى بأخيه بطرس إلى المسيح، ولو أن الإنجيل لم يذكره كثيراً بعد هذا. ثم سمَّى المسيح الأخوين يعقوب ويوحنا ابني زبدي شريكيّ أندراوس وبطرس في الوطن والمهنة، نرى أكبرهما يعقوب مقداماً في الكنيسة

بعد صعود المسيح، حتى أخذه هيرودس أغريباس بعد نحو خمس عشرة سنة أول ضحية يقدمها إرضاءً لكيْد أعداء المسيحية رؤساء اليهود. وأما الأصغر يوحنا فعاش كثيراً، وخدم الكنائس خدمات جليلة طويلاً، بعد أن رقد كل زملائه في قبورهم.

أما سبب ذكر هؤلاء الرسل الأربعة أولاً فهو أن هؤلاء الأربعة كانوا باكورة الذين تبعوا المسيح يوم كان لا يزال مجهولاً بين الناس.

ثم اختار المسيح شخصين آخرين رفيقين لهؤلاء الأربعة في التتلمُذ له، وهما فيلبس ونثنائيل، ولم يرِدْ ذكْرُ فيلبس بعد اختياره إلا في بشارة يوحنا. أما نثنائيل فهو نفسه برثولماوس. بتسمية هؤلاء الستة تمَّ تنظيم نصف الهيئة الرسولية، وكلهم من تلاميذ المعمدان سابقاً، وكان التصاقهم بالمعمدان النبي المصلح، برهاناً كافياً على حسن استعدادهم الديني. فلا بد من أن اختيارهم جميعاً كان منتظراً ومُستصوَباً من التلاميذ الآخرين الحاضرين.

أما الاسم السابع فموجِبٌ لبعض الريب، لأنه العشار متّى أو لاوي. فهل يصلح هذا الخاطئ رسولاً؟ بناء على مواهبة العقلية والروحية يصلح. وقد برهن اختيار المسيح له أن المرفوض من الناس يكون مكرَّماً عند الله، فاختياره مثال دائم لقوة النعمة التي تصيِّر عشاراً دنيئاً، رسولاً ممتازاً. أما رفيق متّى في التسمية فهو توما، الذي لا نعرف عن ماضيه شيئاً، بخلاف السبعة الذين تعيَّنوا قبله.

يليه في التسمية يعقوبٌ آخر. لقبوه بيعقوب الأصغر والصغير. ظنه البعض أخاً لمتّى، لأن اسم أبي الاثنين حلفى. لكن ينفي هذا الظن عدمُ ضمّ الاسمين كانضمام بطرس وأندراوس ويعقوب مع يوحنا.

ثم اختار المسيح رجلاً نستغرب تعيينه، بسببٍ هو عكس سبب استغرابنا لتعيين متّى. كان متّى عبداً للرومان وواحداً من مأموريهم، ولذلك كان مكروهاً ومحتقراً من أمته. أما سمعان الغيور فكان عدو الرومان، وعضو جمعية غايتها قَلْب حكومتهم، فلذلك كان مكرَّماً عند أمته. وقد استحسن المسيح أن يضم إلى صف الرسل رجلاً

من هذا الصنف أيضاً. ليتمثَّل في رسله طباعٌ ومقاطعاتٌ وحِرفٌ مختلفة. أما الرسول الحادي عشر فله اسمان: «لباوس الملقب تداوس» وأيضاً «يهوذا أخا يعقوب بن حلفى».

أما آخر الرسل فكان من مقاطعة اليهودية، بينما كان الآخرون من الجليل. اسمه يهوذا سمعان الإسخريوطي، لأن اسم بلده «قريوت». وكما أنه منفرد عن زملائه الأحد عشر في الوطن، فهو منفرد أيضاً في الخيانة، لأنه يوصف في كل القوائم بذكر جريمته الفائقة القباحة، إذ يُسمَّى «يهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه». لا نتجاسر أن نجزم بالأسباب التي دعت المسيح ليختار شخصاً عرف منذ البدء أنه سيخونه، وأن الجوهر الديني الذي يؤهله للرسولية ليس فيه. يجوز أن المسيح قصد إتمام النبوات، وتسهيل المقاصد الإلهية، فاختاره. يجوز أيضاً أن يعطي مثالاً ليعلّم الناس أن لا يهملوا خدمة الأشرار، لعلهم يربحونهم للصلاح، ومثالاً على أن أنجح الوسائل الروحية لا بد أن تفشل مع البعض. أو أنه اختاره كي يتضح له أنه بلا عذر في خيانته الفظيعة، بعد الوسائط الفائقة التي تقدَّمت له لأجل إصلاحه. ربما لم يكن يهوذا شريراً لما تبع المسيح، وعندما تعيَّن رسولاً، فهو من الذين يبتدئون حسناً وبإخلاص، لكن لعدم اتكالهم على النعمة الإلهية التي وحدها تحفظ من السقوط، ينقادون بعد حين إلى الأهواء الشريرة. أما تسليم الصندوق لهذا اللص فقد يكون عمل التلاميذ الذي تركه المسيح لهم. وأنهم عيَّنوه لمّا وجدوه صاحب إقدامٍ على العمل وبراعة في الحساب.

بعد أن انتهى المسيح من اختيار تلاميذه، لا بد أنه سرح بنظره الثاقب إلى الأمام، ورأى بروح النبوَّة ما يكون من أمر هؤلاء الرسل. رأى ضعفاتهم وسقطاتهم، ورأى أيضاً غيرتهم ونشاطهم ونهوضهم من السقطات، وانتصارهم على الصعوبات والمقاومات، ورأى تأثير تبشيرهم في حياتهم، وتأثير كتاباتهم ومؤسساتهم بعد مماتهم. ثم رآهم مكللين بالمجد الفائق بين الشهداء عن يمين العرش الإلهي جالسين على **«كَرَاسِيَّ تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ»** (متّى ١٩: ٢٨).

# ٨ – الموعظة على الجبل (متّى ٥: ١–٧: ٢٨)

بعد أن اختار المسيح تلاميذه، ألقى عليهم عظة فريدة وافية شاملة أبدية، تُعتبر قاعدة المواعظ وخلاصة الدين، وتُسمَّى «الموعظة على الجبل». ألقاها المسيح في مكان مرتفع بقرب كفرناحوم، اتفق أكثر المفسرين على أنه المكان المعروف حالياً باسم «قرون حطين» وهو للجهة الشرقية الشمالية من مدينة طبرية. والموعظة على الجبل هي أهم وأكمل ما ورد من عظات المسيح، كما أنها الأكثر شهرة، والأقرب قبولاً عند أضداد المسيحية من سائر خُطب المسيح.

هذه الموعظة دستور الملكوت الروحي الجديد الذي أنشأه المسيح على أساس النظام القديم الإلهي الذي أُنزل على موسى والأنبياء، وجاء المسيح لا لينقضه بل ليكمله. في هذا الملكوت نرى أن المسيح هو الملك الذي أنبأ الله عنه قبلاً بفم نبيّه داود: **«أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي»** (مزمور ٢: ٦). فلا بدَّ له من منشور خصوصي يسلّمه لسفرائه الرسل معلناً فيه ما هو جديد في نظام هذا الملكوت، وما هو المعنى الجديد لما حفظ فيه من النظام القديم. فالملك الذي عيَّن رسله، يؤيدهم بقوة خصوصية تمكّنهم من القيام بمهمتهم المتنوعة العجيبة.

قبل الإصغاء إلى كلام المسيح، لنقف قليلاً لنشرح الظروف الخارجية المتعلّقة بهذه العظة، التي لم تُعْطَ كما أُعطيت الشريعة القديمة، فقد أُعطيت شريعة موسى على جبل سيناء الأجرد، بصوت إلهٍ غير منظور، ومحُوطةٍ بالبروق والرعود والزلازل ولهيب النار المخيفة، بينما حُرِّم على كل حي، سوى موسى الكليم، الدنوّ من هذا الجبل وإلا قُتل رجماً. أما الموعظة على الجبل فأُلقيت على جبل «قرون حطين» الأنيس، في وسط المروج الخضراء، وبين تغريد العصافير الأليفة، وأريج الأزهار الجميلة. والصوت صوت الإله متأنساً متسربلاً بالطبيعة البشرية، محاطاً بتلاميذه، وراءهم جمهور من كل الأنحاء جاءوا لسماع كلامه.

قال اليهود في تقاليدهم إنه عندما يظهر المسيح فإنه يقف على شاطئ البحر عند مدينة يافا، ويأمر البحر أن يسلِّم ما فيه من الكنوز، فيقذف البحر أمام قدميه الجواهر الثمينة والكنوز التي دُفنت في قاعه، فيُلبِسُ المسيح تابعيه الملابس الفاخرة والحجارة الكريمة، ويطعمهم منّاً سماوياً يفوق حلاوة ولذة المن الذي أكله آباؤهم أربعين سنة في البرية. هذا تصوير وهميٌّ لمجيء مسيح وهمي.

أفلَم تكن الحقيقة التي نحن بصددها أجمل وأكمل؟ هل من جواهر في قاع البحر تساوي جواهر التعليم الروحي الجوهري؟ هل من حُلل أفخر من حلل الخصال الحميدة المذكورة في وعظه والظاهرة في مثاله؟ هل في الأمر للبحر أن يقدم ما فيه سطوة وهَيْبة كالتي في الأمر للشياطين أن تخرج من الناس، وللموتى أن تحيا، وفي الأمر الذي يمنح غفران الخطايا لتابعيه.

لا ريب في أن كل درر تعاليمه ليست جديدة في مسامع البشر. كان قد سبق عند اليهود كثير، وعند الأمم قليل من التعاليم المشابهة لها، لكن هذه السابقة كانت كجسم آدم الجميل، عندما جبله الرب من التراب قبل أن قام حياً، بينما تعاليم المسيح أشبه بجسم آدم بعد أن نفخ الخالق نسمة الحياة.

- **«وَلَمَّا رَأَى ٱلْجُمُوعَ صَعِدَ إِلَى ٱلْجَبَلِ، فَلَمَّا جَلَسَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلامِيذُهُ. فَعَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِٱلرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَاوَاتِ. طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ. طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ ٱلأَرْضَ. طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَٱلْعِطَاشِ إِلَى ٱلْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ. طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ. طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ ٱلْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ ٱللهَ. طُوبَى لِصَانِعِي ٱلسَّلامِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ ٱللهِ يُدْعَوْنَ. طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ ٱلْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَاوَاتِ. طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُمْ هٰكَذَا طَرَدُوا ٱلأَنْبِيَاءَ ٱلَّذِينَ قَبْلَكُمْ»** (متّى ٥: ١-١٢).

# بداية الموعظة: طوبى

صعد المسيح إلى الجبل. ولما جلس تقدم إليه تلاميذه، فعلمهم قائلاً: «طوبى». كان روح الشريعة القديمة ظاهراً في القول: **«مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لا يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ ٱلنَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ»** (غلاطية ٣: ١٠) وفي اللعنات المفصَّلَة التي نودي بها على جبل عيبال. أما الشريعة الجديدة فقد أعلن المسيح روحها في الآية الشهيرة: **«لأَنَّهُ هٰكَذَا أَحَبَّ ٱللهُ ٱلْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ٱبْنَهُ ٱلْوَحِيدَ، لِكَيْ لا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ ٱلْحَيَاةُ ٱلأَبَدِيَّةُ»** (يوحنا ٣: ١٦). استحسن المسيح أن يكون استهلال شريعته كلمة «طوبى»، وهي الكلمة التي استهلَّ بها جده داود بعض مزاميره الفائقة الشهرة والجمال.

افتتح المسيح وعظه، لا بالوصايا والوعيد، بل بالتهنئة، لأنه أتى من عند الآب لكي يردَّ للبشر سعادة فقدوها بسبب الخطيئة، فجعل الفرح من أهم أركان ملكوته، وجمع في كلمة «طوبى» التهنئة والفرح والسعادة، لأنه يتكلم عن الطوبى الحقيقية لا الوهمية. ففي يومنا هذا نرى أن مبادئ ملكوته الجديد قد رسخت في العالم، وأنها تتسلَّط تدريجياً قرناً بعد قرن من يوم ظهورها إلى الآن، فقد أجمع البشر وعلماؤهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، بأن شريعة المسيح أسمى كل ما ظهر في تاريخ الإيمان.

نرى في سلسلة التطويبات التي أتت في مقدمة هذه العظة أمراً يجب الانتباه الخصوصي إليه، وهو ما أتى قديماً في القول الإلهي: **«لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ»** (إشعياء ٥٥: ٨). فمن أول أعمال المسيح أنه نقض الآراء الدينية الباطلة السائدة في ذلك الزمان، ونفى الخطأ في تعاليم رؤساء الدين اليهودي في زمانه.

## طوبى للمساكين

١ – الطوبى الأولى تقول: «**طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِٱلرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَاوَاتِ**» وهي تتحدث عن أشخاص غير الذين ظنَّهم أهل ذلك الزمان أصحاب ملكوت السماوات، فهذه الحجة للتطويب لا يصدقها سامعوه، لأنهم يحسبون أن في مقدمة أصحاب السعادة رؤساء الدين من كهنة وكتبة وفريسيين (أي الأغنياء في المنصب الديني). لهؤلاء يكون القول الأول والمنفعة الكبرى في الملكوت الزمني المجيد الذي يقيمه المسيح متى جاء. لكن المسيح يرى أن ملكوت السماوات ليس لأولئك وأمثالهم، بل للمساكين بالروح، لأن هؤلاء هم الذين يملكون مع المسيح. كان المسيح قد استشهد في عظته الشهيرة المختصرة في الناصرة بالنبوة القائلة فيه: «**الرب مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ ٱلْمَسَاكِينَ**» (لوقا ٤: ١٨) ولهذا خصص تطويبه الأول للمساكين بالروح.

## طوبى للحزانى

٢ – الطوبى الثانية أعطاها للذين يتمتعون بتعزيات الحياة في وسط مصائبها ويفرحون بعد البكاء. ولا خلاف بين المسيح وسامعيه في هذا القول، لكنهم يخصصون هذه التعزيات للأغنياء، الذين يدفعون عنهم المصائب بمعاونة ذويهم، ويتعزون بكثرة الأصدقاء. أما فهو فخصصها للباكين من الويل والشقاء. التعزية الإلهية هي للذين قد عُفي عن إثمهم، وقد قبلوا من يد الرب ضعفين عن كل خطاياهم (إشعياء ٤٠: ٢).

## طوبى للودعاء

٣ – الطوبى الثالثة هي للذين يرثون الأرض. نعم ومن هم؟ حسب رأي سامعيه

هم أصحاب النفوذ، الذين بدهائهم يسيطرون على البشر، وبمهارتهم يوسّعون أملاكهم ويزيدون ثروتهم. أليس هؤلاء هم الذين يرثون الأرض؟ أما المسيح فيرى أن الذين يرثون الأرض هم الودعاء. في ملكوت المسيح ليس المهوب بل المحبوب هو الذي يرث الأرض. رأى هذه الحقيقة داود النبي فقال: «**بَعْدَ قَلِيلٍ لا يَكُونُ ٱلشِّرِّيرُ. تَطَّلِعُ فِي مَكَانِهِ فَلا يَكُونُ. أَمَّا ٱلْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ ٱلأَرْضَ، وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ ٱلسَّلامَةِ**» (مزمور ٣٧: ١٠، ١١).

## طوبى للجياع والعطاش

٤ – الطوبى الرابعة هي نصيب الشباعى. هنا أيضاً اتفاق بين المسيح وسامعيه. لكن من هم الشباعى؟ عند سامعيه هم الأغنياء في المال، الذين لا يشتهون أمراً إلا ويأتيهم المال به. هم الذين لا يعرفون من الجوع إلا اسمه. إنما حسب رأي المسيح، هم الذين لا يبالون بالغنى المادي، ولا يشتهون كثيراً خيرات هذا العالم، بل يجوعون ويعطشون إلى البر السماوي لأجل نفوسهم ولأجل من حولهم. في ملكوت المسيح هؤلاء هم الذين يشبعون. وقد قال نبي الله إشعياء: «**هَكَذَا قَالَ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ: «هُوَذَا عَبِيدِي يَأْكُلُونَ وَأَنْتُمْ تَجُوعُونَ. هُوَذَا عَبِيدِي يَشْرَبُونَ وَأَنْتُمْ تَعْطَشُونَ**» (إشعياء ٦٥: ١٣).

## طوبى للرحماء

٥ – الطوبى الخامسة خصَّها للرحومين، الذين ينالون من الله الرحمة ومن الناس المراعاة. لكن هل هم الأغنياء في السلطان، أي الملوك والحكام المرعيو الجانب، السالمون من المظالم؟ وهل هم الذين يرغمون الناس على مراعاتهم بسطوتهم؟ وبقوتهم يخدمون المصالح الدينية الخارجية، وبذلك يكسبون عند الله

أيضاً المراعاة؟ يقول المسيح إن الذين يُرحمون هم اللطفاء لا المتجبّرون. هم الذين يراعون الناس لا الذين يراعيهم الناس. هم الذين يخضعون للآخرين لا الذين يُخضِعونهم. في ملكوته ينال الرحماء الرحمة لا العتاة. قال الحكيم سليمان: **«اَلرَّجُلُ ٱلرَّحِيمُ يُحْسِنُ إِلَى نَفْسِهِ»** (أمثال ١١: ١٧). وقال أبوه داود لِلَّه: **«مَعَ ٱلرَّحِيمِ تَكُونُ رَحِيماً»** (مزمور ١٨: ٢٥).

## طوبى للأنقياء القلب

٦ – السبب المعطى للطوبى السادسة هو أصعب الكل وأبعدها عن التصديق. قال: «طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله». أليس هذا مستحيلاً في هذه الدنيا؟ أليس هو العلي الذي يرى ولا يُرى؟ ألم يقل المسيح سابقاً: **«اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ؟»** (يوحنا ١: ١٨) مع كل ذلك نعلم أن اشتهاء الإنسان معاينة الله أمر فطري، وأشرف ما هو فطري في الإنسان.

حسب تصوُّرات الذين خاطبهم المسيح إن الذين يعاينون الله في هذه الدنيا، أو في الآخرة هم الأغنياء في العلم، ولا سيما المتعمَّقين في الدروس اللاهوتية، لأن لهم البصيرة الكافية ليروا من الأمور الإلهية ما لا يراه غيرهم. لكن المسيح يرى أن أنقياء القلب هم الذين يعاينون الله. لا أنقياء العين بل أنقياء القلب. العين التي تستطيع رؤية الله إذاً ليست عين العقل الذكي بل القلب النقي. قال داود النبي: **«لأَنَّ ٱلرَّبَّ عَادِلٌ وَيُحِبُّ ٱلْعَدْلَ. ٱلْمُسْتَقِيمُ يُبْصِرُ وَجْهَهُ.. مَنْ يَصْعَدُ إِلَى جَبَلِ ٱلرَّبِّ، وَمَنْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ قُدْسِهِ؟ اَلطَّاهِرُ ٱلْيَدَيْنِ، وَٱلنَّقِيُّ ٱلْقَلْبِ»** (مزمور ١١: ٧ و٢٤: ٣، ٤).

## طوبى لصانعي السلام

٧ – الطوبى السابعة للذين يُدعون أبناء الله. حسب زعم سامعي المسيح هم أبناء إبراهيم، سلالة النسل المختار، الداخلون بالاختتان في عداد شعب الله من بني إسرائيل. هم الذين يقصدون إثارة الحرب على الرومان ليحرروا الأمة المقدسة من نيرهم، حتى لا يكون عليهم ملكٌ إلا الله. هم الذين يقصدون أيضاً محاربة الشعوب الأخرى لكي يُكرهوهم بالسيف على اتِّباع الدين الحق، وترك العبادات الوثنية، ويجعلونهم خُدَّاماً عند شعب الله الخاص الأصلي. لكن المسيح يرى أبناء الله هم الذين يصنعون في العالم سلاماً لا حرباً، لأن السلام هو من أركان ملكوته الرئيسية. هم الذين يصنعون سلاماً مع الله بالطاعة. وسلاماً مع الناس بالمحبة. قيل في الإنجيل إن المسيح جاء ليخلق منّا إنساناً واحداً جديداً. صانعاً سلاماً (أفسس ٢: ١٥) **«وَثَمَرُ ٱلْبِرِّ يُزْرَعُ فِي ٱلسَّلامِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَفْعَلُونَ ٱلسَّلامَ»** (يعقوب ٣: ١٨).

## طوبى للمطرودين

٨ – أخيراً يكرر المسيح الطوبى للذين لهم ملكوت السماوات. يظن سامعوه أن ملكوت السماوات، هو للأغنياء في التديُّن الخارجي، الذين يكثرون من الأصوام والصلوات ويقدّمون الحسنات، على شرط أن يكونوا من الجنس المختار الإسرائيلي، الذين يعتقدون أن مسيحهم متى جاء يجعل الشخص الذي كان مجده كنور النجم يصبح كنور القمر، والذي كان مجده كنور القمر يصبح كنور الشمس. ويعود مجد الشعب الإسرائيلي إلى أضعاف ما كان عليه في أفخر أيام عزهم. هذا هو ملكوت السماوات الذي يحلمون به، وهؤلاء هم الذين لهم الملكوت ويستفيدون منه. لكن المسيح يرى أن ملكوت السماوات هو للمطرودين من أجل البر، الذين لأنهم مساكين بالروح، وحزانى، وودعاء، وجياع، وعطاش، ورقيقو الشعور، وأنقياء

القلب، ومسالمون، لا يعتبرهم العالم، بل يحتقرهم ويجتنبهم ويخرجهم من دوائره، فيعوِّضهم الرب ملك الملكوت الجديد بإعطائهم إياهم ملكوت السماوات.

## تعليق على التطويبات

هذه هي سلسلة التطويبات. لم نجد فيها حتى ولا حلقة واحدة من الثمانية تختص بالطقوس المذهبية، أو تتناول شيئاً من الفرائض الدينية الخارجية. وخلاصتها أن مسكين العالم هو غنيُّ الملكوت، والحزين هو المتعزي، والباكي هو الضاحك، والخاضع للناس هو الحاكم في الناس، والجوعان للبر هو الشبعان، والمعطي هو الذي يُعطَى، والبسيط القلب هو الفهيم، وصانع السلام لا صانع الحرب هو ابن الملك وهو المنصور، والمطرود من وطنه لأجل الله هو صاحب الوطن الثابت.

هذه التطويبات فأس، ضرب المسيح بها أصول شجرة الآمال العالمية عند اليهود، والمتعلقة بمجيء المسيا وملكوته المادي، فالطوبى الحقيقية الدائمة لا تتوقف على الأمور الخارجية الدينية، ولا على النجاح المادي والزمني، بل على الأمور الداخلية الروحية والنجاح الأبدي. لما كلّم المسيح نيقوديموس كان موضوع حديثه الولادة الروحية لدخول الملكوت الروحي، ولما كلّم المرأة السامرية كان موضوع حديثه روحانية الله وملكوته. وفي وعظه على الجبل لا يزال هذا الموضوع شاغله الأول. والحاجة إلى هذا التعليم ليست أقل في يومنا هذا مما كانت في تلك الأيام. ما أبعد هذا عما نشاهده اليوم في كل المذاهب من استيلاء المجد العالمي على أرباب الدين ومعلِّميه، ومن ترويج المقاييس المادية لا الروحية في الدوائر الدينية.

كانت هذه التطويبات مقدمة عمومية لخطاب في صيغة المخاطب، كلّم به المسيح الذين اختارهم ليكونوا رسلاً. وكأنه يقول لهم: لقد تولدتْ فيكم مبدئياً الصفات التي بنَيْتُ عليها التطويبات، وذلك يجعلكم ممقوتين من قومكم الذين

تربَّيتم بينهم. فأقول لكم طوباكم أنتم متى عاملوكم على الكيفية التي شرحتُها الآن. فمتى طردوكم وأهانوكم وعيّروكم وأفرزوكم من أجل البر، ومن أجل ابن الإنسان، لا تحزنوا ولا تتكدروا، بل افرحوا وتهللوا. أولاً لأن أجركم في السماء لقاء ذلك يكون عظيماً، ثم لأنكم بذلك تماثلون الأنبياء الأقدمين، فتشتركون في شرفهم الدائم.

## أنتم ملح.. أنتم نور

• **«أَنْتُمْ مِلْحُ ٱلأَرْضِ، وَلٰكِنْ إِنْ فَسَدَ ٱلْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟ لا يَصْلُحُ بَعْدُ لِشَيْءٍ، إِلا لأَنْ يُطْرَحَ خَارِجاً وَيُدَاسَ مِنَ ٱلنَّاسِ. أَنْتُمْ نُورُ ٱلْعَالَمِ. لا يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ، وَلا يُوقِدُونَ سِرَاجاً وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ ٱلْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى ٱلْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ ٱلَّذِينَ فِي ٱلْبَيْتِ. فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هٰكَذَا قُدَّامَ ٱلنَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ ٱلْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ»** (متّى ٥: ١٣-١٦).

في هذه الكلمات يقول المسيح ربنا لنا: أنتم ملح الأرض وأنتم نور العالم. فإذا رفضكم العالم فإن رفضه لا يفسد ملوحتكم ولا يخفي نوركم. وكما يفعل الملح في الطعام تفعلون أنتم فعلاً إصلاحياً، وإنْ كان خفيّاً، حتى في القوم الذين يريدون أن يهلكوكم. وكما أن طبيعة النور هي الانتشار، هكذا لا بد أن تضيء فضائلكم التي هي ثمر الروح القدس فيكم، فيرى الناس أعمالكم الحسنة ولكن ليس لتمجيدكم أنتم، بل لتمجيد أبيكم الذي في السماوات. وكما أن السراج لا يوقد لكي ينظر الناس إليه، بل لكي ينظروا بواسطته شيئاً آخر أهمَّ منه، هكذا تكونون أنتم. لأن لا قيمة للملح في حدّ ذاته بل في فعله، ولا قيمة للسراج إلا في نوره. ولا قيمة لكم كتلاميذي إلى بأن تصلحوا وتنيروا. قد أقمتُكم لأجل هذا، ليس بين شعب إسرائيل فقط، بل أنتم ملح الأرض بأسرها ونور العالم كله. في شخصكم قبل تعليمكم يظهر الملح والنور، لأن الشخص الحي يفعل ما لا يفعله مجرد التعليم.

## يكمل القديم، لا ينقضه

• **«لا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ ٱلنَّامُوسَ أَوِ ٱلأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلأَرْضُ لا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ ٱلنَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ ٱلْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هٰذِهِ ٱلْوَصَايَا ٱلصُّغْرَى وَعَلَّمَ ٱلنَّاسَ هٰكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهٰذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ. فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى ٱلْكَتَبَةِ وَٱلْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ ٱلسَّماوَاتِ»** (متّى ٥: ١٧–٢٠).

وهنا يقول لنا المسيح: لا تتوهَّموا أن تعاليمي الجديدة تستخفُّ بالكتاب الإلهي الذي بين أيديكم، لأن زوال السماء والأرض أيسر من زوال أدنى نقطة من نقطِهِ، إلا بعد أن تتم. إني أقصد إثبات الناموس المُنزل على موسى والأنبياء لا إلغاءه. أبدل منه ما هو وقتيّ بعد أن أكمله. أتيتُ لأنقض أعمال إبليس وليس ناموس الله وأقوال الأنبياء، فالناموس في يد الكتبة والفريسيين لا يثمر بالصلاح، فهو كبزر الفاكهة الذي لا يؤكل. وإن مطاليب الناموس، جئت لأبيّن لهم عظمتها فوق ما كانوا يتصوّرون.

## شريعة الصلح

• **«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لا تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ ٱلْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ ٱلْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ ٱلْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ. فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى ٱلْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ، فَٱتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ ٱلْمَذْبَحِ، وَٱذْهَبْ**

**أَوَّلاً ٱصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ. كُنْ مُرَاضِياً لِخَصْمِكَ سَرِيعاً مَا دُمْتَ مَعَهُ فِي ٱلطَّرِيقِ، لِئَلا يُسَلِّمَكَ ٱلْخَصْمُ إِلَى ٱلْقَاضِي، وَيُسَلِّمَكَ ٱلْقَاضِي إِلَى ٱلشُّرَطِيِّ، فَتُلْقَى فِي ٱلسِّجْنِ. ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لا تَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ ٱلْفَلْسَ ٱلأَخِيرَ»** (متّى ٥: ٢١-٢٦).

يقول المسيح هنا: إن الوصية التي تنهَى عن القتل تنهَى أيضاً عن الغضب والنميمة والبُغض. صلاتكم وقرابينكم لا تُقبل بمجرد امتناعكم عن القتل، إذ يجب أن تمتنعوا عن البُغض، فهذا روح الوصية قبل حروفها.

تعلَّمتم أن تتركوا ذبيحة الفصح قدام المذبح وتتوقَّفوا عن تقديمها، لكي ترجعوا وتنزعوا من بيوتكم خميراً غفلتُم عنه. وأنا أعلّمكم أن ترجعوا وتستغفروا الذي أسأتم إليه قبل تقديمكم الصلاة لله.

## شريعة الطهارة

- **«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لا تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى ٱمْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ. فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ ٱلْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَٱقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلا يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ. وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ ٱلْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَٱقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلا يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ»** (متّى ٥: ٢٧-٣٠).

كم من أناس يعترفون بخطاياهم الفعلية ولا يحسبون حساباً لخطاياهم الفكرية، ناسين أن النظرة الشهوانية هي الزنى بعينه، لأنها سببه وأصله – إنني أشدد على استئصال جرثومة الخطأ من أسسها، ومن كل ما يؤدي إلى ارتكابها.

لا تنسوا أنه خيرٌ لكم أن تخسروا أثمن ما عندكم ولو كان أحد أعضاء جسدكم،

حتى العين أجملها وأعزّها، من أن تخسروا الرضى الإلهي فهو حياتكم وسماؤكم، وأن تجلبوا عليكم الدينونة الإلهية التي هي موتكم وجحيمكم.

## شريعة الطلاق

• **«وَقِيلَ: مَنْ طَلَّقَ ٱمْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلاقٍ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ ٱمْرَأَتَهُ إِلا لِعِلَّةِ ٱلزِّنَى يَجْعَلُهَا تَزْنِي، وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي»** (متّى ٥: ٣١، ٣٢).

أجاز موسى الطلاق بسبب ما كانت حال قومه من البداوة والقساوة، ولم يستحسن الله ذلك، لأنه يكره الطلاق. ولما كان يكرهه يكون ممنوعاً، ولذلك حُرِّم الطلاق في العصر المسيحي.

كان اليهودي يطلق زوجته لأتفه الأسباب، بمجرد صدور كلمة من فمه (تثنية ٢٤: ١)، فصعَّب موسى الطلاق وأوصى أن من أراد تطليق إمرأته فليُعطها رغبته في الطلاق مكتوبة.

أما في العهد المسيحي فإني أطهّر هذه الرابطة الزوجية لتثبت وتدوم. فالمرأة تبقى مرتبطة أمام الله بزوجها الأول.

## شريعة الحق

• **«أَيْضاً سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لا تَحْنَثْ، بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لا تَحْلِفُوا ٱلْبَتَّةَ، لا بِٱلسَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ ٱللهِ، وَلا بِٱلأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلا بِأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ ٱلْمَلِكِ ٱلْعَظِيمِ. وَلا تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ، لأَنَّكَ لا تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيْضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ.**

**بَلْ لِيَكُنْ كَلامُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لا لا. وَمَا زَادَ عَلَى ذٰلِكَ فَهُوَ مِنَ ٱلشِّرِّيرِ»** (متّى ٥: ٢٣-٣٧).

عندكم الوصية التي توجب عليكم القيام بالقَسَم. أما أنا فأقول لكم: ليس فقط لا تحلفوا كذباً، بل أيضاً لا تحلفوا صدقاً. انزعوا من حديثكم كل يمين مهما كان بسيطاً وصادقاً. الحلف في الحديث لا محل له إلا ليبيّن أن بعض هذا الحديث صادق فيؤيد باليمين، وبعضه غير صادق فيُترك دون يمين. أما الصادق الوقور فيكتفي بقوله: «نعم نعم ولا لا» عالماً أن «ما زاد على ذلك فهو من الشرير».

## شريعة الحقوق

- **«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لا تُقَاوِمُوا ٱلشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ ٱلأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ ٱلآخَرَ أَيْضاً. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَٱتْرُكْ لَهُ ٱلرِّدَاءَ أَيْضاً. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِداً فَٱذْهَبْ مَعَهُ ٱثْنَيْنِ»** (متّى ٥: ٣٨-٤٢).

أيضاً تعوّدْتم تحليل الانتقام استناداً على النظام الموسوي الذي يقول: «عين بعين وسن بسن». لكن هذا القول قاعدة العلاقات الرسمية المدنية لا الشخصية.

أجعل لكم تعليماً جديداً، بأن أنزع روح الانتقام ممن يسيء إليكم. تمنع الأحكام المدنيّة الانتقامات الشخصية، وتوكلُ إلى الحكّام معاقبة المذنبين لردعهم. فالأحكام الدينية تمنع الانتقام طاعة لقول الإنجيل: **«لا تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا ٱلأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَاناً لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِيَ ٱلنَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ ٱلرَّبُّ»** (رومية ١٢: ١٩) فالتنازل عن حقوقكم الشخصية لمن يقصد أن يسلبها منكم أفضل من خِصامكم لأجلها.

## شريعة الحب

- **«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ ٱلَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى ٱلأَشْرَارِ وَٱلصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى ٱلأَبْرَارِ وَٱلظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ ٱلْعَشَّارُونَ أَيْضاً يَفْعَلُونَ ذٰلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ ٱلْعَشَّارُونَ أَيْضاً يَفْعَلُونَ هٰكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ»** (متّى ٥: ٤٣–٤٨).

أنتم تظنون أنه جائز لكم أن تبغضوا الذي يبغضكم، وتعادوا الذي يعاديكم. لكن روح الناموس الداخلي هو روح واضع الناموس، الذي يشرق شمسه وينزل مطره على أعدائه كما على أولاده. فإن عاديتُم من عاداكم وأحسنتُم إلى الذين يحسنون إليكم، لا تكونون أفضل من عبدة الأصنام والكفرة. فلا تقابلوا شراً بشر. إن أحسنتم إلى من يسيء إليكم، تخمدون جذوة العداوة، وتطفئون لهيب البغض. اتخذوا الكمالات الإلهية قاعدة لحياتكم فتكونون حقاً (ليس فقط اسماً) أولاد الآب السماوي. ولكن اعلموا أن كل الوصايا تُحفظ حقاً في القلب حفظاً روحياً قبل حفظها حرفياً في الخارج. وإلا فحفظها الخارجي لا يُعتبر عند الله.

## الصَّدقة والصوم

- **«اِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ ٱلنَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلا فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ. فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلا تُصَوِّتْ قُدَّامَكَ بِٱلْبُوقِ، كَمَا يَفْعَلُ ٱلْمُرَاؤُونَ فِي ٱلْمَجَامِعِ وَفِي ٱلأَزِقَّةِ،**

**لِكَيْ يُمَجَّدُوا مِنَ ٱلنَّاسِ. ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ ٱسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلا تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ، لِكَيْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي ٱلْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ ٱلَّذِي يَرَى فِي ٱلْخَفَاءِ هُوَ يُجَازِيكَ عَلانِيَةً».**

- **«وَمَتَى صُمْتُمْ فَلا تَكُونُوا عَابِسِينَ كَٱلْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ ٱسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ. وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صُمْتَ فَٱدْهُنْ رَأْسَكَ وَٱغْسِلْ وَجْهَكَ، لِكَيْ لا تَظْهَرَ لِلنَّاسِ صَائِماً، بَلْ لأَبِيكَ ٱلَّذِي فِي ٱلْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ ٱلَّذِي يَرَى فِي ٱلْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلانِيَةً»** (متّى ٦: ١-٤، ١٦-١٨).

نظام الملكوت الجديد الذي أدخلتكم فيه لا يلغي الفروض الدينية الموحى بها من الله، كالصدقة المتجهة نحو القريب، والصلاة المتجهة نحو الله، والصوم المتجه نحو الذات. لكن يُشترط في هذه الفرائض أن لا تُحفظ أمام الناس فقط، أو تؤخذ وسيلة لأجل الافتخار والتعظُّم، وربح مدح الآخرين، وآلة للرياء الكريه. فإن كنتم لا تتصدَّقون وتصلّون وتصومون في الخفاء، لا تُحسب صدقاتكم وصلواتكم وأصوامكم الجهارية عند الله، لأنكم إذ ذاك تكونون مرائين. لا تتشبَّهوا بمعلمي الدين ورؤسائه عندكم، لأنهم مراؤون، واصطلاحاتهم في هذه الأمور مثل نواياهم، ومكروهة عند الله. لا تنقادوا إلى ضلالة الأمم كما انقاد رؤساؤكم فيتوهمون أن مجرد تكرار الصلاة تسرُّ الإله الذي يصلُّون إليه.

## الصلاة

- **«وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلا تَكُنْ كَٱلْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي ٱلْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا ٱلشَّوَارِعِ، لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ ٱسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَٱدْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ ٱلَّذِي فِي ٱلْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ ٱلَّذِي يَرَى فِي**

**ٱلْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلانِيَةً. وَحِينَمَا تُصَلُّونَ لا تُكَرِّرُوا ٱلْكَلامَ بَاطِلاً كَٱلأُمَمِ، فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ بِكَثْرَةِ كَلامِهِمْ يُسْتَجَابُ لَهُمْ. فَلا تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ. لأَنَّ أَبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ» «فَصَلُّوا أَنْتُمْ هٰكَذَا: أَبَانَا ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ ٱسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي ٱلسَّمَاءِ كَذٰلِكَ عَلَى ٱلأَرْضِ. خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا ٱلْيَوْمَ. وَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضاً لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا. وَلا تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لٰكِنْ نَجِّنَا مِنَ ٱلشِّرِّيرِ. لأَنَّ لَكَ ٱلْمُلْكَ، وَٱلْقُوَّةَ، وَٱلْمَجْدَ، إِلَى ٱلأَبَدِ. آمِينَ».**
**«فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ ٱلسَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاتِهِمْ، لا يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضاً زَلاتِكُمْ»** (متّى ٦: ٥-١٥).

الصلاة هي أهم فرائض الدين، فلكي تعرفوا روح الصلاة المقبولة ومضمونها ونسقها، أعطيكم نموذجاً تقيسون به صلاتكم على الدوام.

إن أمعنتم النظر في هذه الصلاة النموذجية تلاحظون أن روح المصلي يكون روح البنوّة لله، لأنه يخاطب الله كأب، ويعظم المحبة المتبادلة بين هذا الآب السماوي وأولاده، ويعظّم أيضاً الطاعة له، والاتكال عليه لأجل احتياجاته كلها. وهو يعظم العلاقة المتبادلة بين أولاده. حتى أن ما يريده المصلي لنفسه يريده للآخرين أيضاً، لأن روح البنوة لله يستلزم روح الأخوَّة للناس. فيصلي المسيحي لا «أبي» بل «أبانا». ولا يطلب غفران الآب لنفسه إلا ويقدم لإخوته غفرانه على سيئاتهم نحوه. فأقصد أن أعلّمكم جيداً حقيقة أبوية الله للبشر وأخوَّة البشر لبعضهم البعض، لأن معلمي الدين قد أهملوا هذه الحقيقة الجوهرية ولم يوضحوها في الماضي كما يجب.

ترون في هذه الصلاة روح الدالة البنوية، وروح المحبة الأخوية، كما ترون روح العبادة التقوية، لأن يوم الله وكتابه وبيته ورجاله (خدام الدين) وكنيسته كلها

مقدسة، بسبب نسبتها إليه. وقد ذكرت لكم في هذه الصلاة طلب النجاة من الشرير. هذا الطلب هو اعترافٌ بقوة الشيطان العظيمة وسطوته على البشر، وبأن لا نجاة منه لأحد إلا بقوة إلهية تنقذهم. وأعلنت لكم جلياً في خاتمة هذه الصلاة، كما في فاتحتها، أن على المصلي أن يقدّم أمور الله على أموره، لأن الله هو الكل وفي الكل، فله وحده الملك والقوة والمجد.

علَّمتكم في هذه الصلاة اختصار الصلاة وبساطتها، لأن روح النبوَّة والأخوَّة والعبادة فيها تقضي بذلك. وبما أنني لم أدخل بعد على وظيفتي الشفاعية، فلم اضع اسمي فيها، مع أنه بعد صعودي تقدّمون صلاتكم إلى الآب باسمي. ولم أذكر فيها الروح القدس، لأنه لم يُعْطَ بعد للناس على كيفية تستطيعون الآن أن تفهموا ما يُقال فيه.

## المؤمن وحب المال

- **«لا تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى ٱلأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ ٱلسُّوسُ وَٱلصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ ٱلسَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ ٱكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً فِي ٱلسَّمَاءِ، حَيْثُ لا يُفْسِدُ سُوسٌ وَلا صَدَأٌ، وَحَيْثُ لا يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلا يَسْرِقُونَ، لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضاً. سِرَاجُ ٱلْجَسَدِ هُوَ ٱلْعَيْنُ، فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّراً، وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلِماً، فَإِنْ كَانَ ٱلنُّورُ ٱلَّذِي فِيكَ ظَلاماً فَٱلظَّلامُ كَمْ يَكُونُ! لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ ٱلْوَاحِدَ وَيُحِبَّ ٱلآخَرَ، أَوْ يُلازِمَ ٱلْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ ٱلآخَرَ. لا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا ٱللهَ وَٱلْمَالَ»** (متّى ٦: ١٩-٢٤).

أحذركم كل التحذير من حب المال، وأذكركّم أن كنوز العالم فانية، ولن تبقى إلا الكنوز السماوية. وما أسعد من تعلق قلبه بالسماء لا بالأرض، فلذلك يتسهَّل له

الصلاح. وأما إن ساد في قلبه حب المال، فيستحيل عليه أن يحب الله كما يجب. والكنز في السماء هو ثمر ما يعمله الإنسان ويبذله في سبيل خير الناس، حباً بالله.

لأنكم نور العالم يستنير بكم غيركم من البشر، كما يستنير بواسطة العين الصحيحة. فإن فقدتم أنتم الصلاح، فكم بالحري يفقده الذين ليس لهم وسائط الصلاح مثلكم؟ ومن الأمور المطلوبة منكم لتنيروا على الآخرين أن تتكلوا تماماً على الآب السماوي في أمر حاجاتكم الزمنية. إن عناية الله بمخلوقاته واضحة في طيور السماء التي ترفرف وتغرد فوق رؤوسكم، وفي الأزهار التي تزهو تحت أقدامكم. فكيف لا يعتني الله بالذين خلقهم على صورته، وهم أولاده؟ فإن كل ما في الجو من فوق، وكل ما على الأرض من أسفل، يشهد فعلاً لعنايته بما قد خلق. وما دام يعتني بأدناها، كيف يمكن أن يهمل أسماها؟ الذي وهب الجسد العجيب لا يبخل بالكساء الزهيد، والذي وهب الحياة الثمينة لا يتأخر عن تقديم القوت الرخيص لأجل حفظها. صحيح أن الإنسان يجب أن يهتم بالحاجيات الجسدية، لكنه يجب أن يفعل ذلك وهو متكل على عناية الآب السماوي، وهكذا لا يكون نهباً للقلق، ويجيء اهتمامه بالماديات بعد اهتمامه بالأمور الروحية – لا قبلها ولا فوقها – فما هي فائدة الإنسان لو لم تساعده العناية الإلهية؟ فإذاً ملجأكم في الدرجة الأولى هو هذه العناية لا اهتمامكم أنتم. وكيف تتفوَّقون على غير المؤمنين إن كنتم تهتمون بالدنيويات كما يهتم الوثنيون؟ أقدِّم لكم أعظم نصيحة عندي وأحلاها: «أطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كلها تُزاد لكم».

## لا تدينوا

• **«لا تَدِينُوا لِكَيْ لا تُدَانُوا، لأَنَّكُمْ بِٱلدَّيْنُونَةِ ٱلَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِٱلْكَيْلِ ٱلَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ. وَلِمَاذَا تَنْظُرُ ٱلْقَذَى ٱلَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا ٱلْخَشَبَةُ ٱلَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلا تَفْطَنُ لَهَا؟ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ**

**لأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجِ ٱلْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهَا ٱلْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ. يَا مُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلاً ٱلْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً أَنْ تُخْرِجَ ٱلْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ! لا تُعْطُوا ٱلْمُقَدَّسَ لِلْكِلابِ، وَلا تَطْرَحُوا دُرَرَكُمْ قُدَّامَ ٱلْخَنَازِيرِ، لِئَلا تَدُوسَهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَلْتَفِتَ فَتُمَزِّقَكُمْ»** (متّى ٧: ١-٦).

ثم أوصيكم أن لا تكونوا من الذين يدينون بعضهم بعضاً، فالحكمة تنهَى عن هذا، لأن الناس يعاملونك كما تعاملهم. فالذي يكشف عيوب الناس تكشف الناس عيوبه وهلم جراً. الميّال إلى دينونة الآخرين يكون مدفوعاً من الافتخار والانتقام، فيُذمُّ افتخاراً أو انتقاماً. والأغلب أنه ظالم في الحالتين، لأنه يرى عيوب الآخرين، لا كما هي، بل مكبّرة. ويرى عيوبه هو لا كما هي، بل مصغَّرة. والمُخطئ لا يقدر أن يصلِح الأقل عيباً منه، فيصحُّ القول: «يا مرائي، أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذي في عين أخيك».

## أسألوا تعطوا

- **«اِسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ. أَمْ أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ إِذَا سَأَلَهُ ٱبْنُهُ خُبْزاً، يُعْطِيهِ حَجَراً؟ وَإِنْ سَأَلَهُ سَمَكَةً، يُعْطِيهِ حَيَّةً؟ فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلادَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِٱلْحَرِيِّ أَبُوكُمُ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ، يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ. فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ ٱلنَّاسُ بِكُمُ ٱفْعَلُوا هٰكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ، لأَنَّ هٰذَا هُوَ ٱلنَّامُوسُ وَٱلأَنْبِيَاءُ»** (متّى ٧: ٧-١٢).

أوصيكم أن تكونوا حكماء مميَّزين في أحاديثكم الدينية، لئلا تعرِّضوا كلامكم للهزء والاحتقار بغير فائدة، فتكونون كمن يعطي المقدس للكلاب ويطرح جواهره أمام الخنازير. لكل مقام مقال، فيجب أن يناسب التعليم المقام الذي يُقدَّم فيه وأحوال

السامعين. أؤكد لكم أن الآب السماوي مستعد لاستماع صلواتكم واستجابتها. إن كان الأب البشري وهو خاطئ لا يتأخر عن طلب أولاده، إن كان هذا خيراً لهم، ويُخلِص في ما يمنحه، فكيف يمكن أن يتخلَّى الآب السماوي الكامل عن تضرُّعات طالبيه، أو يهبهم شيئاً ليس هو الخير الحقيقي؟ وأول ما يريد أن يهبه هو الروح القدس للذين يطلبونه.

وأسلمكم أيضاً القاعدة المسمَّاة الذهبية، التي لا يمكن المبالغة في جمالها ومفعولها، فهي تحل المشكلات الأخلاقية للذين يمارسونها، وتُغني عن ألوف الوصايا المفضَّلة لأنها أفضل منها. هذه القاعدة هي: «كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم. لأن هذا هو الناموس والأنبياء». نعم قد ورد في أقوال القدماء ما يقارب هذا القول، ويظن البعض أن هذه القاعدة تكفي لتحيط بالواجب الديني تماماً. لربما كان زَعْمهم يصحّ لو أنه لا يوجد إله. لكن بما أن الله موجود، لا يكون القيام بالواجب نحو الناس إلا القسم الأصغر في الدين، لأن القسم الأعظم هو القيام بالواجب من نحوه تعالى.

## باب ضيق وباب واسع

- **«اُدْخُلُوا مِنَ ٱلْبَابِ ٱلضَّيِّقِ، لأَنَّهُ وَاسِعٌ ٱلْبَابُ وَرَحْبٌ ٱلطَّرِيقُ ٱلَّذِي يُؤَدِّي إِلَى ٱلْهَلاكِ، وَكَثِيرُونَ هُمُ ٱلَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقَ ٱلْبَابَ وَأَكْرَبَ ٱلطَّرِيقَ ٱلَّذِي يُؤَدِّي إِلَى ٱلْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ ٱلَّذِينَ يَجِدُونَهُ! «اِحْتَرِزُوا مِنَ ٱلأَنْبِيَاءِ ٱلْكَذَبَةِ ٱلَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ ٱلْحُمْلانِ، وَلٰكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلٍ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ! مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ ٱلشَّوْكِ عِنَباً، أَوْ مِنَ ٱلْحَسَكِ تِيناً؟ هٰكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَاراً جَيِّدَةً، وَأَمَّا ٱلشَّجَرَةُ ٱلرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَاراً رَدِيَّةً، لا تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَاراً رَدِيَّةً وَلا شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَاراً جَيِّدَةً. كُلُّ شَجَرَةٍ لا تَصْنَعُ**

**ثَمَراً جَيِّداً تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي ٱلنَّارِ. فَإِذاً مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. «لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ، يَدْخُلُ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَاوَاتِ. بَلِ ٱلَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ، كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ: يَا رَبُّ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ بِٱسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِٱسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِٱسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! ٱذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي ٱلإِثْمِ»** (متّى ٧: ١٣-٢٣).

إني أضع أمامكم طريقين يسير جميع الناس في إحداهما. الأولى ضيقة في بدايتها رحبة في نهايتها، والثانية بالعكس، رحبة في بدايتها ثم ضيقة جداً في نهايتها، فأنصح لكم أن تختاروا الطريق الضيقة في هذه الدنيا والعامرة بالمجد في الآخرة. ولا تقتدوا – بأكثر البشر – لأنهم يفعلون بالعكس، إذ يختارون ما هو راحة حالية غاضين النظر عن العذاب الأبدي.

وأنبّهكم إلى العلاقة بين الشجر والثمر، والتي تستلزم أن يكون الثمر من جنس الشجر، فأعمال الإنسان لا تكون إلا تابعة لحالة قلبه الداخلية. يجوز أن يدَّعي إنسان أنه نبي مرسَل من الله، وأنه يتكلم بكلام الأنبياء، لكن بمرور الأيام لا بد أن تثمر طبيعته في أعماله. ولا بد أيضاً من القَطْع والإلقاء في النار لكل من يثمر ثمراً رديئاً. ولا يوقف هذا القطع احتجاج الذين يتستّرون تحت ثوب الرياء، متظاهرين بالتديُّن، متكلين على حسناتهم الخارجية، وهم يهملون الوصايا الإلهية التي لا تروق لهم، أو التي تخالف أغراضهم. قد يكونون من الذين تنبأوا باسمي، وصنعوا معجزات كثيرة حتى إخراج الشياطين باسمي، وهم يعترفون بي بأفواههم، وينادونني: «يا رب، يا رب». لكنهم لم يفعلوا إرادة أبي الذي في السموات. فسأجيب على استنجادهم في يوم الدين: «إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم».

## العاقل والجاهل

• **«فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هٰذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى ٱلصَّخْرِ. فَنَزَلَ ٱلْمَطَرُ، وَجَاءَتِ ٱلأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ ٱلرِّيَاحُ، وَوَقَعَتْ عَلَى ذٰلِكَ ٱلْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّساً عَلَى ٱلصَّخْرِ. وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هٰذِهِ وَلا يَعْمَلُ بِهَا، يُشَبَّهُ بِرَجُلٍ جَاهِلٍ، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى ٱلرَّمْلِ. فَنَزَلَ ٱلْمَطَرُ، وَجَاءَتِ ٱلأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ ٱلرِّيَاحُ، وَصَدَمَتْ ذٰلِكَ ٱلْبَيْتَ فَسَقَطَ، وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيماً!»** (متّى ٧: ٢٤-٢٧).

وفي الختام أقدم لكم تشبيهاً مفيداً جداً، لأن الذي يعرف مشيئة الله ويعملها يشبه الشخص الذي يضع أساس بيته على الصخرة. والذي يعرف ولا يعمل يشبه الذي يبني بيته على أساس رملي بجانب مجرى ماء، فما دام الجو صافياً والرياح ساكنة، يظهر أن الذي بنى على الرمل هو الحكيم، لأنه استراح من متاعب الحفر ونفقاته، فيهنّئ نفسه ويهنّئه الآخرون. ولكن صفاء الجو وسكون الريح لا يدومان إلى الأبد، فمتى جاء النوء يظهر جلياً من كان الحكيم الذي سَلِم بناؤه. الذي يعرف ولا يعمل يتلذذ حالياً بملذات الدنيا، ويجتنب المصاعب في سبيل البر، لكن متى هبّت رياح الدِّين، ونزل مطر الغضب الإلهي، وجاءت أنهار عذاب الضمير، وحدث سيل إرسال الخطاة إلى مكانهم في الهلاك «وصدم» هذا الشخص، يسقط حالاً، ويكون خرابه عظيماً. بينما الأول لا يسقط ولا يتزعزع لأنه مؤسس على صخر.

• **«فَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هٰذِهِ ٱلأَقْوَالَ بُهِتَتِ ٱلْجُمُوعُ مِنْ تَعْلِيمِهِ، لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَٱلْكَتَبَةِ»** (متّى ٧: ٢٨، ٢٩).

كل من يتأمل بدِقة وإخلاص في نظام الملكوت الروحي هذا، وفي قوة المطاليب الإلهية من الإنسان، ييأس من استطاعته أن يطيع هذه الوصايا. هذا اليأس هو الخطوة الأولى في الخلاص، لأنه يُبعد الإنسان عن الاتكال الباطل على الخلاص

بالأعمال، ويقوده إلى المخلّص الوحيد الذي جعل الإيمان الحي الحقيقي به شرط الخلاص الكافي والوحيد.

# ٩ – شفاء خادم قائد المئة

• **«وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ كَفْرَنَاحُومَ، جَاءَ إِلَيْهِ قَائِدُ مِئَةٍ يَطْلُبُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: «يَا سَيِّدُ، غُلامِي مَطْرُوحٌ فِي ٱلْبَيْتِ مَفْلُوجاً مُتَعَذِّباً جِدّاً». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا آتِي وَأَشْفِيهِ». فَأَجَابَ قَائِدُ ٱلْمِئَةِ: «يَا سَيِّدُ، لَسْتُ مُسْتَحِقّاً أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي، لٰكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَقَطْ فَيَبْرَأَ غُلامِي. لأَنِّي أَنَا أَيْضاً إِنْسَانٌ تَحْتَ سُلْطَانٍ. لِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي. أَقُولُ لِهٰذَا: ٱذْهَبْ فَيَذْهَبُ، وَلآخَرَ: ايتِ فَيَأْتِي، وَلِعَبْدِيَ: ٱفْعَلْ هٰذَا فَيَفْعَلُ». فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ تَعَجَّبَ، وَقَالَ لِلَّذِينَ يَتْبَعُونَ: «ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ، لَمْ أَجِدْ وَلا فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَاناً بِمِقْدَارِ هٰذَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا بَنُو ٱلْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى ٱلظُّلْمَةِ ٱلْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ ٱلْبُكَاءُ وَصَرِيرُ ٱلأَسْنَانِ». ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِقَائِدِ ٱلْمِئَةِ: «ٱذْهَبْ، وَكَمَا آمَنْتَ لِيَكُنْ لَكَ». فَبَرَأَ غُلامُهُ فِي تِلْكَ ٱلسَّاعَةِ»** (متّى ٨: ٥–١٣).

قال السيد المسيح إنه جاء ليقدم الخدمة للناس، لا ليُخدَم. وهو الوحيد الذي لم يخالف فعلُه قولَه مطلقاً. قال فيه سامعوه إنه تكلم كمن له سلطان، وفوق السلطان يتبعه فعل السلطان. لم ينتهِ وعظه إلا وتجددت معجزاته. دخل مدينة كفر ناحوم ترافقه جموع كثيرة، فاستقبله وفد من قادة اليهود من أصحاب الوظائف الدينية يطلبون إليه باجتهاد، بالنيابة عن الحاكم العسكري الروماني أن يشفي عبده المريض بالشلل معذباً جداً ومشرفاً على الموت، وهو عزيز عنده. سمّاه «غلامه» وهي كلمة تُستعمل في اليونانية عن الابن أيضاً. من كلامه واهتمامه بعبده عرفنا مزايا هذا الجندي الشريف، لأن في ذلك كان العبد محتقراً مُهاناً إلى أقصى درجة عند أغلب الأسياد.

ظن هذا القائد الروماني أن المعلم اليهودي سينقاد إلى طلب رؤساء ملَّته في المدينة، فاستنجد بهم، وبذلك ظهر أن علاقة هؤلاء مع المسيح كانت لا تزال حسنة، بخلاف الأمر مع زملائهم في اليهودية. فوافق الرؤساء على طلب هذا القائد، بناءً على حُسْن علاقاتهم معه أيضاً. فتمكن من ملازمة غلامه في أشد ساعات الخطر. لما حضر وفد الرؤساء أمام المسيح قالوا إن القائد بنى لنا المجمع ويحبُّ أمّتنا، ويستحق أن يُفعل له هذا. ولا نلوم هذا القائد الوثني على ظنه بأنه يحتاج إلى شفعاء لدى المسيح ليحقق آماله، فلم يكن يعلم أن المسيح يعرفه أفضل من هؤلاء الشفعاء به، ولم يكن يعلم أن محبة هؤلاء له ليست إلا جزءاً لا يُذكر من محبة المسيح له. ولذلك لم يعلم أن تدخُّل هؤلاء الشفعاء كان فضولاً. وفي يومنا هذا ليس من ملاك أو قديس إنْ كان على الأرض أو في السماء أعْرَف بنا أو أقرب إلينا أو أحنّ علينا، من المسيح ذاته لكي يصلح شفيعاً بدلاً من المسيح، أو لكي يعينه في الشفاعة بنا. ومنزلة السيد المسيح عند الآب السماوي، الذي عيّنه شفيعاً وحيداً وكافياً، لا تترك مجالاً لغيره ليجلس بجانبه أو يشاركه في الشفاعة، فإن شفاعة المسيح مبنيَّة على أساس ما انفرد به عن سائر الناس أو الملائكة في عمله الكفاري، كما يقول الإنجيل: **«لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ: ٱلإِنْسَانُ يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ»** (١تيموثاوس ٢: ٥).

الذين يستشفعون ملائكة أو قديسين لا ينتبهون إلى أن ما في أقدس القديسين وأعظمهم، من اللطف والإشفاق وحب الإنسانية والعطف على البؤساء، ليس إلا قطرة فقط مما في المسيح من هذه العواطف الشريفة. فهم كالذين يطلبون أن يستضيئوا بسراج في رابعة النهار. إنهم لا ينتبهون إلى أن ليس قديس من القديسين قد أعطي برهاناً لحبه إياهم أو سؤاله عنهم، بينما المسيح قد جاء من السماء وتأنَّس وعلَّم وخدم وتألم واحتمل ومات وقام وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الله ليشفع في المؤمنين. وكل ذلك حباً لهم. إنهم كالولد الذي في الشدائد والمخاطر يحيد عن أمٍ جمعتْ في شخصها كل الكمالات، واحتملت في تربيته أعظم المشقات، ليتمسك

بخادمة البيت بدلاً عنها. ويجوز لنا أن نستشهد برفْض المسيح لتداخُل والدته وقت عرس قانا الجليل شاهداً مؤثراً لهذه الحقيقة المتعلّقة باستشفاع القديسين في أمور الدين. وبذلك علَّم المسيح الناس في كل الأجيال أن لا محل ولا حاجة إلى هذا الاستشفاع.

كان المرضى يُحمَلون اعتيادياً إلى محل وجود المسيح. أما في هذا الحادث فقد وافق المسيح الناس على عادتهم في تمييز كبار القوم، فرضي أن يعامل هذا القائد معاملة ممتازة، ولا سيما لأنه أجنبي، وتوجه إلى بيت المريض. ولما عرف قائد المئة أن المسيح آتٍ، كلَّف بعض أصدقائه ليلاقوه ويظهروا له احتراماته القلبية وإيمانه بمقدرته، وأن ينوبوا عنه بالقول: «يا سيد لا تتعب، لأني لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي. لذلك لم أحسب ذاتي أهلاً أن آتي إليك. لكن قُلْ كلمة فقط فيبرأ غلامي». وقوله بتواضع وإخلاص: «لستُ أحسب نفسي أهلاً» هو أفضل برهان لأهليّته، لأن الشعور بعدم الاستحقاق الذاتي هو المقدمة الضرورية لكل من يطلب معونة المسيح وخلاصه.

يظهر أن هذا الرجل ظن أن المسيح يفعل معه كما فعل مع مواطنه خادم الملك منذ نحو سنة ونصف، فيشفي غلامه عن بُعْد، بكلمة. وكان مؤمناً أن للمسيح ذات السلطة على الطبيعة والأمراض التي له هو على أنفار الجند والخدم الذين تحت أمره، والتي لرؤسائه عليه أيضاً، فاستعار هذا التشبيه الجميل الدال على حُسْن تقييمه للموقف. فتعجب المسيح من عظمة الإيمان والحكمة والتواضع واللياقة في هذا الوثني، والتفت إلى الجمع الذي يتبعه وقال: «الحق أقول لكم: لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا». ولم يبال بما قد يُحدثه هذا من استياء في سامعيه من اليهود. ثم صرح بأن القبول عند الله لا يتوقف على الأصل. قال: «أقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السماوات. وأما بنو الملكوت فيُطرحون خارجاً إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان».

في هذه المرة أيضاً أعطى المسيح برهاناً واضحاً على أنه ليس مولود عصره، ولا ثمر الجنس البشري المجرد، لأن أفكاره مستقلةٌ تماماً عن الآراء السائدة بين قومه وفي زمانه، بل مضادة لها على خط مستقيم. وها هو ينفي كفاءة الأصل اليهودي حُجَّةً للقبول عند الله.

ثم أرسل المسيح جوابه للقائد أن يدخل بيته، قائلاً: «كما آمنتَ ليكن لك». فبرأ غلامه في تلك الساعة. ورجع المرسَلون إلى البيت فوجدوا العبد المريض قد صحّ. فرح المسيح عندما رأى في هذا الجندي الروماني باكورة الوثنيين الذين سوف يؤمنون به بعد أن رفضْتهُ أمته الخاصة – وليس أنها رفضته فقط زمان ظهوره في أراضيها، بل لا تزال مُصِرَّة إلى الآن!

هل تشعر بعدم استحقاقك للحصول على غفران الله؟ طوبى لك. هذا بداية الطريق للحصول على الغفران. أُطلب الغفران من الله، على أساس ما فعله المسيح لأجلك على الصليب. ولتكن مؤمناً بسلطان المسيح الكامل على الغفران والشفاء.

# ١٠ – المسيح يقيم شاباً من الموت

• **«وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلتَّالِي ذَهَبَ إِلَى مَدِينَةٍ تُدْعَى نَايِينَ، وَذَهَبَ مَعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ. فَلَمَّا ٱقْتَرَبَ إِلَى بَابِ ٱلْمَدِينَةِ، إِذَا مَيْتٌ مَحْمُولٌ ٱبْنٌ وَحِيدٌ لأُمِّهِ، وَهِيَ أَرْمَلَةٌ وَمَعَهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ. فَلَمَّا رَآهَا ٱلرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا وَقَالَ لَهَا: «لا تَبْكِي». ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ ٱلنَّعْشَ، فَوَقَفَ ٱلْحَامِلُونَ. فَقَالَ: «أَيُّهَا ٱلشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ قُمْ». فَجَلَسَ ٱلْمَيْتُ وَٱبْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ، فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ. فَأَخَذَ ٱلْجَمِيعَ خَوْفٌ، وَمَجَّدُوا ٱللهَ قَائِلِينَ: «قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ، وَٱفْتَقَدَ ٱللهُ شَعْبَهُ». وَخَرَجَ هٰذَا ٱلْخَبَرُ عَنْهُ فِي كُلِّ ٱلْيَهُودِيَّةِ وَفِي جَمِيعِ ٱلْكُورَةِ ٱلْمُحِيطَةِ»** (لوقا ٧: ١١–١٧).

سافر المسيح من الناصرة إلى قرية نايين، وهي رحلة يوم كامل سيراً على الأقدام. والتقى رب الحياة والجمهور الذي يتبعه بملاك الموت يقود جمهوراً يحمل على أكتافه جثة شاب وحيد لأمه، وهي أرملة.. وما أعظم حزن الأم! لذلك تحرك لحزنها كلُّ سكان المدينة وخرجوا معها ليدفنوا وحيدها على رجاء القيامة. فالتقوا بالمسيح الذي هو القيامة والحياة، والذي من أمامه يهرب ليس الموت فقط، بل أيضاً الذي له سلطان الموت، أي إبليس.

يمكن أن نتخيل إبليس راكباً على النعش، وهو غير منظور، مفتخراً بانتصاره في افتراسه هذا الشاب، وأن نتصور حمقه عند رؤيته من بعيد قدوم جمهور عظيم، يتبع عدّوه المسيح، الذي انتصر عليه في كل عراك حتى الآن. ألم يصرَّ بأسنانه بغيظٍ عقيم في الماضي كلما طرد المسيح شيطاناً من مصاب؟ ولربما طمأن إبليس ذاته في هذا الموقف بالوهم أن المسيح لم يخطف منه إلى الآن فريسة الموت، فهو لا يزال منتصراً في هذا الميدان.

كانت المؤاساة في المآتم من أقدس الواجبات عند اليهود، وتُثيب من يمارسها.

وحسب اصطلاح ذلك الوقت كان على المسيح والجمهور الذي معه أن يفسحوا الطريق لمرور موكب الدفن، ثم ينضمّون إليه. وكانت العادة في الجليل أن النساء يمشين قدام النعش، لأن المرأة هي التي أدخلت إلى العالم الخطيئة التي نتيجتها الموت. لكن المسيح واجه الموكب وأوقفه. وبما أننا نعلم أن بكاء أهل الميت ومن معهم يتجدد ويقوى كلما التقوا بأشخاص آخرين، فبمُلتقى هذين الجمهورين يزيد الحزن ويعلو البكاء. فلما رأى المسيح الأرملة المسكينة تحنن عليها وقال لها: «لا تبكي». لم يطلب منها الكفَّ عن البكاء كأمر ممنوع، لأن الدموع من العطايا الإلهية، وقد تكون بركة عظيمة لأنها تفرج ألم الأحزان وتخمد نيرانها. وأي شيء أشرف من الدموع التي تسيل حباً للغير، وأيُّ شيء أفضل من العَبَرات التي يذرفها الإنسان على معاصيه وذنوبه وزلاته. والحق أننا نبكي على الذي لا يبكي بكاء رزيناً معتدلاً عند وقوع ما يوجب البكاء. ولكن المسيح قصد أن يوقف بكاء هذه الأرملة، وأعطاها سبباً كافياً لذلك. فتقدم ولمس النعش فوقف الحاملون. وامتلكت هيبة المسيح كبار هؤلاء القوم مع صغارهم، فخضعوا له، وأوقفوا الموكب بانتظار ما يريد هو.

كان صوت البوق قد أعلن موت هذا الشاب في نايين. أما الآن وعلى هذا الطريق سيُسمع صوت الذي قال على مسمع من الرؤساء والجمهور في أورشليم: «الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يوحنا ٥: ٢٥). الآن يُثبِت قوله الغريب بفعله العجيب، فنادى الميت بقوله: «أيها الشاب، لك أقول قم». ووقع هذا الصوت على السامعين كالصاعقة. نعم قد سمعوا هذا المعلم ينتهر الأرواح النجسة فتخضع لصوته، ورأوه عندما أمر الأمراض أن تولّي فولّت، وسمعه تلاميذه ينتهر النوء فأطاع. لكنهم لم يتصوروا ولم يحلموا أن هذا الصوت يأمر أرواحاً انتقلت إلى الأبدية، فترجع إلى قيودها الجسدية بعد تحريرها منها، ويأمر جثة هامدة فتعود إلى الحياة. لقد قرأوا في التوراة عن أنبياء عظماء أقاموا موتى، ولكنهم فعلوا ذلك بعد مصارعة قوية بالصلاة

لله، واستعمال وسائط دلَّت على صعوبة الأمر، وكانوا يُجْرُون ذلك في السر، كأنهم يخشون الفشل. ثم أن تسعمائة سنة قد مرَّت دون حدوث قيامة ميت، فلا يخطر مطلقاً على بال الجمهور أن ذلك يُعاد أمام عيونهم. ولكن هنا إنسان يكلم الموت بصوت سلطان، ولا يستعطف كالأنبياء بصوت يستغيث، فأي تجاسر هذا؟

لكن الحكم يكون للنتيجة، فقد جلس الشاب وابتدأ يتكلم. ما أعظم دهشة هذا الشاب لما فتح عينيه ورأى ذاته على محمل، مُحاطاً بجمهور من النائحين، ورأى كآبة أمه التي هو وحيدها، ولما طرق أذنيه صوتُ الرثاء والنحيب واسمه موضوع ذلك. ثم زاد عجبه لما رأى رجلاً غريباً واقفاً بجانبه يلمس نعشه، على مُحيَّاه إمارات الذكاء المفرط، والرزانة النادرة، مع الطهارة السماوية، واللطف المتدفِّق.

ترى ماذا كان منظر المسيح لما رآه ابن أرملة نايين؟

خاض الكتبة الأقدمون في موضوع هيئة المسيح الخارجية، الذي لا سبيل للجزم القطعي فيه، واختلفوا في: هل كان ذا جمال جسدي؟ أما في النبوّات فتُوجد بعض آيات اتّخذها قومٌ دليلاً على أن المسيح اتّخذ لنفسه هيئة خارجية حقيرة تسبّب ازدراء الناس به، منها قول إشعياء: **«كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَداً أَكْثَرَ مِنَ ٱلرَّجُلِ، وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ»** (إشعياء ٥٢: ١٤). على أن هناك آيات أخرى تفيد عكس ذلك، منها قول صاحب المزامير: **«أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي ٱلْبَشَرِ»** (مزمور ٤٥: ٢) وقول سليمان: **«حَبِيبِي... مُعْلَمٌ بَيْنَ رَبْوَةٍ... كُلُّهُ مُشْتَهَيَاتٌ»** (نشيد ٥: ١٠، ١٦).

أما نحن فنستصوب الشعار الموضوع في بعض الحوانيت والبيوت: «إن الله جميل يحب الجمال» وهذا يتفق مع قول داود النبي: **«وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ ٱلرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ ٱلرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ ٱلرَّبِّ»** (مزمور ٢٧: ٤) ولا ريب مطلقاً في أن جمال الهيئة هو الوضع الإلهي في الخَلْق، وأن ما يخالف الجمال هو نتيجة الخطيئة ويُعدُّ خللاً. والاهتمام بجمال الهيئة هو

من الواجبات، وكل من يخدم الجمال في أعماله يقدم لجنسه خدمة تُذكر فتُشكر.

نعم قد تطرَّف الأقدمون وأخصُّهم اليونان في تمجيد الجمال الخارجي، فتوصلوا إلى عبادته عبادة دينية، وأدّى ذلك طبعاً إلى الفساد، نظير كل عبادة باطلة. لكن اهتمامهم بالجمال رقّاهم كثيراً وخلّد ذكرهم بين أفضل الأقوام التي قامت في التاريخ البشري.

فيحق لنا أن ننسب جمالاً في القامة والمُحيّا إلى الذي حُبل به من الروح القدس في رحم عذراء طاهرة، اختارها الله من بين ألوف العذارى في إسرائيل، لتلد الهيكل الجسدي المعيَّن منه ليتحد به اللاهوتُ المقدس. ويقوّي هذا الظن ما نعلمه عن الصِّلة بين النفس والجسد التي تجعلنا نتوقع ظهور جمال خارجي يقابل الجمال الداخلي في هذا الإنسان البريء من كل خطيئة، وهيبته الشخصية التي أثَّرت في حوادث عديدة على الناس، حتى على أعدائه أيضاً. هذه تعضد الرأي بأن المسيح كان ذا جمالٍ جسدي.

لم يقصد المسيح إزالة الموت في العالم، فهذا الحكم الإلهي لا يُلغَى ولو توقَّف أحياناً. ولا قصد المسيح إدهاش القوم بإظهار سلطانه، بل دفعه حنانه على الأرملة المسكينة ليصنع هذه المعجزة. إن من أعمال إبليس العدائية إسقاط البشر تحت حكم لموت، ومن أعماله أيضاً تنشيف الحنان والإشفاق. فكانت رأفة المسيح نحو هذه المسكينة نقْضاً لأعمال إبليس. وحالما عاد ابنها إلى الحياة دفعه إلى أمه، كأنه يقول لها بهذا الفعل: «ترين الآن لماذا نهيتُك عن البكاء». فاللطف والإشفاق لا ينفصلان عند كل تلميذ حقيقي للمسيح، يقصد أن يسلك في خطواته، عملاً بالوصية: **«فَرَحاً مَعَ ٱلْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ ٱلْبَاكِينَ»** (رومية ١٢: ١٥).

لا بد أن أرملة نايين وابنها آمنا بالمسيح المخلص، بل نتصور أنهما أصبحا شاهديْن أمينين له، وخميرة الإيمان في مدينة نايين، التي على رغم حقارتها قد أصبحت شهيرة بسببهما. وضاعف هذا الحادث الخطير صيت المسيح الطائر

في البلاد. فكانت النتيجة حسب قول البشير أن «أخذ الجميعَ خوفٌ ومجدّوا الله قائلين: قد قام فينا نبيٌّ عظيم وافتقد الله شعبه، وخرج هذا الخبر في كل اليهودية وفي جميع الكورة المحيطة».

# مسابقة الكتاب

عزيزي القارئ، إن أرسلت إلينا إجابة صحيحة على عشرين سؤالاً من الأسئلة الخمسة والعشرين التالية. نرسل لك كتاباً جائزة من كتبنا المختلفة. نرجو أن ترسل مع الإجابة اسمك وعنوانك واضحين لنرسل لك الجائزة.

١. ما معنى قبول المسيح سجود الأبرص له؟
٢. لماذا لمس المسيح الأبرص؟
٣. ما هو الضرر الذي نشأ عن عصيان الأبرص لأمر المسيح بعدم إذاعة خبر شفائه؟
٤. لماذا رفض المسيح طلب بطرس أن يخرج من سفينته؟
٥. ما هي الوظيفة الجديدة التي أعطاها المسيح لبطرس؟
٦. اذكر ثلاثة أشياء ساعد بها الرجال الأربعة صديقهم المفلوج.
٧. غفر المسيح خطايا المفلوج – ما هو برهان هذا الغفران؟
٨. اذكر ثلاثة دروس تتعلمها من دعوة المسيح لمتى العشار.
٩. ما هو الإكرام الذي منحه المسيح لمتى بعدما تاب؟
١٠. اذكر خطوات التوبة الأربع.
١١. كيف يكون اليأس دافعاً نحو الله؟
١٢. لماذا اختار المسيح المريض منذ ٣٨ سنة ليشفيه دون باقي مرضى بركة بيت حسدا؟
١٣. لماذا سأل المسيح مريض البركة قائلاً: «أتريد أن تبرأ»؟
١٤. من هم الشهود الخمسة على أن المسيح هو ابن الله؟
١٥. من إشعياء ٥٨: ٣–٧ ما هو الصوم الذي يقبله الله؟

١٦. ما هي حالة القلب الذي يقبل تعليم المسيح الجديد – وكيف تحصل عليه؟
١٧. ماذا رأى المسيح في تلاميذه بعد أن اختارهم رسلاً له؟
١٨. ما معنى كلمة «طوبى» – وما هي دلالة افتتاح المسيح موعظته على الجبل بهذه الكلمة؟
١٩. طوّب المسيح ثمانية أنواع من الناس. اذكر الأنواع الثمانية.
٢٠. ما هي الحكمة من منع الحلفان بتاتاً؟
٢١. لماذا افتتح المسيح الصلاة الربانية بالدعاء «أبانا»؟
٢٢. ما هي امتيازات وعيوب كل من الباب الضيق والواسع؟
٢٣. ما هي صفات الشخص الذي يسميه المسيح عاقلاً؟
٢٤. لماذا لا نحتاج إلى شفيع عندما نجيء إلى المسيح؟
٢٥. ماذا تتعلم من إقامة المسيح ابن أرملة نايين من الموت؟